الدليل الثاقب على إيمان أبي طالب

كرّم الله وجهه

الدكتور
الشيخ عبدالرسول الغفاري

الدليل الثاقب
على
إيمان أبي طالب عليه السلام

المؤلف

الدكتور عبد الرسول الغفاري

سر شناسه : غفاری، عبدالرسول، ۱۳۳۵ -
عنوان ونام پدید آور : الدلیل الثاقب علی ایمان ابی طالب علیه السلام
عبدالرسول الغفاري
مشخصات نشر : قم : طوبای محبّت، ۱۳۹۰.
مشخصات ظاهری : ۲۱۶ ص.
شابک : 978-600-6085-25-8
یادداشت : عربی
یادداشت : کتاب حاضر درباره ایمان حضرت ابوطالب علیه السلام است.
موضوع : سرگذشتنامه
رده بندی کنگره : ۱۳۹۰ ۸ الف۷ غ/۶/۲۵ BP
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳۱
شماره کتابشناسی ملی : ۱۹۵۴۷۲۲

انتشارات طوبای محبت

الدليل الثاقب على ايمان ابي طالب عليه السلام

الدكتور الشيخ عبدالرسول الغفاري

الطبعة الاولى : ١٤٣٢ هـ ق ـ ٢٠١١ م.

طبع في : ٢٠٠٠ نسخة

المطبعة : ذاكر

شابک(ردمک): ۸-۲۵-۶۰۸۵-۶۰۰-۹۷۸

مراكز التوزيع:

قم / بولوار ١٥ خرداد

فرع ٥٧ / جنب مسجد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام / رقم ٢٠

شارع چهار مردان / فرع ٦ / رقم ١٥٢

٠٩٣٦ ٩٨٩ ٤٤٧٣ / ٧٧٨٤٠٨٣ ـ ٠٢٥١

www.ketabashura.blogfa.com

E-Mail: ketabashura@hotmail.com

قم / بولوار سميه / ١٦ متري عباس آباد / رقم ١١٢

٧٨٢٣٦٤٢ / ٧٧٤٠٠٦٦ - ٠٢٥١

٠٩١٢ ٢٥٢ ٤٩٦٨

E-Mail: tobay-mohebat@yahoo.com

﴿ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾

«قرآن الكريم»

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي بَعُدَ فلا يُرى وقَرُبَ فشهد النجوى، بارئُ الخلائق، و منشيء الإنسان من ماء دافق، نحمده حمداً كثيراً ونشكره شكراً دائماً لا إنقطاع له، ثمّ الصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين، وعلى صحبه الأخيار المنتجبين ومن تابعهم بإحسان.

وبعد، هذه لمحة سريعة في شأن عمّ الرسول ﷺ ووالد الوصيّ، الشمس الزاهر والعلم الظاهر؛ مَنْ إسمه عبد مناف والملقّب بأبي طالب عليه السلام.

أقول: وأنا العبد الفقير عبد الرسول الغفاري الراجي عفو ربّه الغني، قد جعلت مباحث هذا الكتاب في ستة فصول وخاتمة؛

الفصل الأوّل: لماذا أخفىٰ أبو طالب عليه السلام إيمانه؟

الفصل الثاني: نبوءات أبي طالب عليه السلام.

الفصل الثالث: إيمان أبي طالب عليه السلام من خلال القرآن الكريم.

الفصل الرابع: إيمان أبي طالب من خلال سيرة النبيّ ﷺ وأقواله.

الفصل الخامس: الدليل العقلي علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام.

الفصل السادس: شهادات كبار الصحابة وعلماء المذاهب السنيّة على إيمان أبي طالب عليه السلام.

ثمّ خاتمة البحث.

سائلين المولى أن ينتفع بهذا الكتاب أولي الحجىٰ وذوي العقول والإنصاف، آملين منهم أن يتدبّروا فصوله ويعوا عبارته، على أمل أن يصدر كتابنا المفصل في إيمان أبي طالب عليه السلام ـ عن قريب إن شاء الله ـ حيث فيه مباحث في التفسير والحديث والرجال، إضافة إلى جملة من الأدلة العقليّة والنقليّة التي تؤكّد إيمان عبد مناف عمّ الرسول والملقّب بأبي طالب عليه السلام، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب.

المؤلف

عبد الرسول الغفاري

الفصل الأوّل

ما قيل في إيمان أبي طالب عليه السلام

لو تصفّحت جميع كتب الحديث والتاريخ والأخبار والأنساب سوف تجد في إيمان أبي طالب عليه السلام أقوالاً أربعة وهي:

القول الأوّل: أنّه ما مات إلّا مسلماً مؤمناً بالله وبالنبيّ صلى الله عليه وآله، وهذا ما ذهبت إليه الإمامية وأكثر الزيدية وطائفة من المعتزلة وشيوخها، منهم أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الاسكافي وآخرون، وسيأتي التفصيل فيه إن شاء الله.

القول الثاني: ورد في مصادر عديدة أنّه قال عند موته: «أنا علىٰ دين عبد المطلب».

القول الثالث: روى بعضهم ـ مصادر الجمهور ـ أنّه قال عند موته: «أنا علىٰ دين الأشياخ».

القول الرابع: قال شيوخ البصريين ـ وهم عثمانيو الهوى ـ إنّه مات على دين قومه، وزعم هؤلاء الشيوخ أنّ قريش كانت تشرك بالله وتعبد الأصنام، فإنّ أبا طالب عليه السلام كان على شاكلتهم أيضاً.

إنّك ترى من بين هذه الأقوال قول واحد وهو الرابع، حيث يذهب

إلى كفر أبي طالب عليه السلام، وبغض النظر عن عقيدة اولئك البصريين حيث عرفهم التاريخ بعداوتهم ونصبهم للإمام عليّ عليه السلام، فقد تمسّك هذا الفريق بعدّة أدلّة للبرهنة على رأيه، من ذلك قالوا:

١ ـ إنّ عليّاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت أبي طالب عليه السلام، فقال له: إنّ عمّك الضال قد قضى، فما الذي تأمرني فيه؟

٢ ـ قالوا لم ينقل أحد عنه أنّه رآه يصلّي.

٣ ـ إنّ عليّاً وجعفراً لم يأخذا من تركته شيئاً.

٤ ـ رووا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله قد وعدني بتخفيف عذابه لما صنع في حقّي، وأنّه في ضحضاح من نار.

٥ ـ رووا عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه قيل له: لو استغفرت لأبيك وأمّك.

فقال صلى الله عليه وآله: لو استغفرت لهما لأستغفرت لأبي طالب عليه السلام، فإنّه صنع إليّ، ما لم يصنع، وإنّ عبد الله وآمنة و أبا طالب عليهم السلام جمرات من جمرات جهنم.(١)

أقول: جميع هذه الأدلّة مخدوشة وباطلة وسوف نتطرّق إليها بشيء من التفصيل.

وذلك من خلال: الكتاب والسنّة والإجماع والدليل العقلي وما قاله ونطق به ـ أبو طالب ـ صراحة في نثر وشعر.

أمّا القول الثاني والثالث، فلا يغرب عن البال أنّ أبا طالب عليه السلام استعمل في كلامه التورية، وما دين عبد المطلب والأشياخ من

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤ / ٦٥ـ٦٧.

بني هاشم إلّا التوحيد وسيأتي تفصيله فيما بعد إن شاء الله.

ولم يبق من بين الأقوال الأربعة إلّا قول العثمانية وهم شيوخ البصريين، ومن تبعهم من المعاندين، وسوف يأتيك الكلام مفصّلاً عمّا قريب في البحوث من هذا الكتاب بعون الله العزيز القهار.

نسب أبي طالب عليه السلام

هو عبد مناف، وقيل عمران[1] وقيل شيبة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب وينتهي نسبه إلى إسماعيل النبيّ عليه السلام.

له ألقاب كثيرة منها: شيخ الأبطح، سيّد البطحاء، رئيس مكة،....

أمّا كنيته: أبو طالب وبها اشتهر.

ولد بمكة قبل ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله بخمس وثلاثين سنة، الموافق لسنة ٥٣٥م.

وتوفّي بمكة[2] في السنة العاشرة من البعثة، أي قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروج النبيّ والمسلمين من الشعب، وكان عمره بضع وثمانون سنة.

---

(١) لم يشتهر هذا الإسم من بين الأسماء، بل عُرف أبو طالب أنّ إسمه عبد مناف فهو سمّي جدّه.

(٢) قيل كانت وفاته في السادس والعشرين من شهر رجب على أصحّ الروايات، وقيل غير ذلك.

هناك شواهد عديدة تؤكّد إيمان أبي طالب قبل البعثة، سوف نذكر بعضها في طيّات هذا الكتاب، وما يناسب هذا التمهيد سنقتصر على واحدة من تلك الشواهد.

أخرج إبن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة، قال: قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي، وأجدب العيال، فهلمّ واستسق، فخرج أبو طالب عليه السلام ومعه غلام كأنّه شمس دجى تجلّت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بأصبعه الغلام وما في السماء قزعة[١] فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغرق وأغدودق، وانفجر له الوادي، واخصب البادي والنادي، في ذلك يقول أبو طالب ويمدح به النبيّ صلى الله عليه وآله أكثر من ثمانين بيتاً:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة الأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل
وميزان عدل لا يخيس شعيرة
ووزان صدق وزنه غير هائل[٢]

---

(١) قزعة: قطعة من السحاب.

(٢) السيرة الحلبية: ١/١١٦، دار إحياء التراث العربي بيروت (رحلي)، وفتح الباري: ٢/٤٩٤، وسيرة إبن هشام: ١/٣٠٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

لماذا أخفى أبو طالب عليه السلام إيمانه؟

كانت زعامة قريش، بل ورئاسة العرب متمثلة بـ(عبد المطلب) إبن هاشم بن عبد مناف، ويسمّى شيبة ويلقّب بشيخ البطحاء، منحه الله سبحانه الشرف والسؤدد والعزّة ما لم يعط أحداً مثله، حكّمته قريش في أحوالها وجميع شؤونها، منها الرفادة والسقاية، وكانت قريش تقول: عبد المطلب، إبراهيم الثاني أي إبراهيم الخليل، لأنّه رفض عبادة الأصنام، ووحّد الله، ووفى بالنذر، وسنّ سنناً أقرّها القرآن.

ولد عبد المطلب في سنة ١١٧ قبل عام الفيل وتوفّي بمكة سنة تسع من عامّ الفيل المصادف لسنة ٥٧٨ م، وكان لرسول الله من العمر ثمان سنين، وكان لوفاة عبد المطلب يوماً مشهوداً عند العرب، وقد اعظمت قريش موته، واقيمت له مراسم الغسل والتكفين والتشيع ما لم يحصل له مثيل.

وليس عجيباً أن ينال عبد المطلب ذلك التعظيم في تَشيعه ودفنه، ولا يخلو الأمر من الرعاية الإلهية، لكونه موحّداً مؤمناً.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله يبعث جدّي عبد المطلب أمّة واحدة في هيئة الأنبياء وزيّ الملوك.[1]

وعن إسماعيل السراج عن بعض رجاله: أنّه سمع أبا عبد الله

---

(١) هامش الحجّة على الذاهب: ص ٦٤ وص ٥٦، وراجع سيرة إبن هشام: ١ / ١٦٩، وتاريخ اليعقوبي: ٢ /٧ـ ١٠، وعيون الأثر: ١ / ٤٠.

جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول: يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك[١] وفي السيرة النبويّة للسيّد أحمد زيني دحلان على هامش السيرة الحلبية: أنّ عبد المطلب على دين الحنيفية، يأتي يوم القيامة (يبعثه الله) في زي الملوك وأبهة الأشراف.[٢]

بعد موت عبد المطلب انتقلت رئاسة العرب وزعامة قريش إلى ولده الرشيد ذي الحلم والسؤدد والنباهة ألا وهو أبو طالب، وكانت العرب تجلّه منذ حياة والده، ولم يَسُد أحداً من العرب مع قلّة ذات اليد إلّا أبو طالب، فهو شيخها وعميدها والمنيع من بينها، لا يردّ له طلب، ولا يتقدّم عليه أحد، فهو سيّد قريش بلا مدافع، ورئيسها بلا منازع.

وقد كانت تجلّه القبائل العربية وتهابه لحكمته وحلمه وفضله، بل لما كان مطّلعاً عليه من التاريخ والأخبار ورسائل السماء، فهو كأبيه لم يسجد لصنم، وقد حفظ وصيّة أبيه عبد المطلب حيث انبأه بما يؤول إليه هذا المولود الجديد من الشرف والسيادة، وقد عرف أبو طالب عليه السلام كلّ هذه الانباء من خلال الكتب المقدسة التي اطّلع عليها بواسطة أوصياء عيسى ومنهم بَحيرا الراهب.

هذه المكانة، وتلك الرفعة ادّخرها أبو طالب للذبّ عن حمى

---

(١) شرح إبن أبي الحديد: ١٤/ ٦٧.

(٢) السيرة النبويّة: ص ٦٤.

الإسلام وصاحب الرسالة الغرّاء النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

إنّ أبا طالب في زعامته لقريش يعتبر أمّة؛ له الكلمة الفصل في كلّ الأمور، فهو المطاع في كلّ الأحوال والظروف.

وهو المنيع من بين زعماء قريش، يخضعون له بالسمع والطاعة، على أنّ القوم ـ زعماء قريش ومن والاها ـ مشركون، يعبدون آلهة، فعبادتهم لله من غير تنزيه ولا توحيد، حيث يسجدون لأصنام أوجدوها بأيديهم، ولمّا بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله بالرسالة وجد أبو طالب نفسه مكلّفاً بالدفاع عن محمّد صلى الله عليه وآله، لكن ما هو السبيل إلى ذلك؟

فأمام أبي طالب عليه السلام طريقان:

الطريق الأوّل: التخلّي عن هذه الرئاسة وإعلان إسلامه لقريش، وهذا طريق يحول بين أبي طالب وبين نصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله، بل سوف تجهز قريش جميعاً على منازلة بني هاشم فوراً ويتمّ القضاء عليهم.

الطريق الثاني: هو الإبقاء على هذه الرئاسة وزعامته لقريش حتى يكون عوناً لإبن أخيه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، صاحب الرسالة، والمبعوث من السماء للهداية، ولمّا كان أبو طالب على يقين من صدق دعوة النبيّ، وأنّه بمنزلة الأب الحنون، الرؤوف، بل أكثر من هذا، أنّه وديعة أبيه عبد المطلب، واليتيم الذي لم يحظ بحنو الأب ولا بعطف الأمّ، حيث فقدهما الرسول وهو في أمسّ الحاجة إليهما، فما كان من أبي طالب إلّا أن يسدّ هذا الفراغ فيعوّضه حناناً ورأفة وشفقة، بل كان يفديه بكلّ ما لديه من وجوده وكيانه، حتى كان يفديه بولده عليّ عليه السلام.

إذاً الإستجابة لأمر السماء إنّما تتحقق بنصرة النبيّ حتى يتمكّن من نشر الدعوة الإسلاميّة وإعتناق الناس لهذا الدين الحنيف.

فطالما زعيم قريش، أبو طالب، لم يظهر عقيدة تخالف عقيدة جمهور العرب، ولم يتعرّض لأصنامهم وعقائدهم فهو في عزّة ومنعة، من هنا كان السند الكبير لإبن أخيه محـمّد صلى الله عليه وآله، وعليه أنّ أبا طالب هو الستار الواقي لكلّ ما يقوم به النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّ قريش لم تزل في خوف شديد من زعيمها وشيخها الذي طالماً هدّد أخوته وعمومته وأبناء عشيرته إزاء أيّ تحرك يقومون به ضدّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

وفعلاً أصاب هذا التهديد موقعه، ونكست زعماء قريش رؤوسها أمام هذا الهزبري لمّا زأر بهم في قضية عبد الله بن الزبعرى والسلا، سيأتيك تفصيلها في الفصل الثالث إن شاء الله.

مَنْ الذي كتم إيمانه؟

هناك شخصيات رساليّة كتمت إيمانها، وقد أشار إليهـا القـرآن الكريم، فمن تلك الشخصيات:

إبراهيم الخليل عليه السلام

قصّة إبراهيم عليه السلام مع قومه قد ذكرتها كتب التفاسير والتاريخ بأوضح البيان.

كان قومه يعبدون الأصنام، وقد شاع فيما بينهم الكفر واستحكم الجهل في نفوسهم، فما كان من إبراهيم عليه السلام إلّا أن يستعمل معهم الأسلوب الحسّي في تبليغه، فكان يخادع قومه على الإيمان ويدخل معهم في أمورهم، حتى نفذ إلى قلوبهم، بعدها صار يعظهم بما هو أسلم في التبليغ والنصيحة، فإنّه كان من مخادعته لهم أنّه كان يعمد إلى طعام طيّب فيجعله في طبق ويضعه قدّام الأصنام و يقول: ﴿أَلاَ تَأْكُلُونَ، مَا لَكُمْ لاَ تَنْطِقُونَ﴾.(١)

مع علمه أنّ الأصنام لا تنطق ولا تأكل، ولكنّه قصد إعلام قومه بوجه لطيف أنّ هذه الأصنام لا تنفع ولا تضرّ، ولا ترىٰ ولا تسمع، ولو كان قال لهم إبتداءً أنّ هذه الأصنام لا تنفع ولا تضرّ لما سمعوا كلامه، ولما قبلوا نصائحه وإرشاداته، ولسوف يعرّض نفسه إلى الهلاك قبل أن تثمر جهوده في تبليغ رسالة السماء، ولعرّض نفسه لما لا قبل له به من أذاهم.

هذا أسلوب اتّخذه إبراهيم الخليل عليه السلام لتنبيه الحسّ والوجدان، وإيقاظهم من الغفلة، حتى إذا خلا بالأصنام أخذ معولاً وأطاح بها فجعلها جذاذاً، كما قال الكتاب العزيز: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ

---

(١) الصافات: ٩١.

لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[١] وهذا النوع من التبليغ أوقع في النفس من مخاطبة العقل لأنّ الجاهل لا يؤوب إلى عقله بقدر ما يلتفت إلى ما حواليه من الأمور المحسوسة.

فلمّا رأى القوم ما صنع بالأصنام أنكروا ذلك وأكبروه وقالوا: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ﴾؟

قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾[٢] أنظر إلى أسلوب التوعية، وكيفية الخطاب: ﴿فَسْأَلُوهُمْ﴾، ﴿إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾ مع علمه أنّ المشار إليه صنم جامد، لا يضرّ ولا ينفع، أنّه لا يفعل شيئاً من ذلك، وإنّما أراد أن يعلم قومه أنّ هذه الأصنام لا أثر لها، بل هي أحجار صمّاء فرجعوا يتدبّرون قول إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ﴾.[٣] يعقّب القرآن الكريم على ما دار في خلجهم فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلىٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هٰؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾.[٤]

قال الغفاري: أنظر إلى سيرة هذا النبيّ صلى الله عليه وآله وأسلوبه وحكمته، وكيف جارى قومه وتلطّف بهم في مدّة مديدة حتى وصل إلى إيقاظ ضمائرهم وتحريك حواسهم وخواطرهم، مع كونه نبيّ ومن أُولي العزم ولكن ما كان يقدر على قومه في بلوغ الغرض منهم إلّا بدخوله

---

(١) الأنبياء: ٥٨.

(٢) الأنبياء: ٦٢ و٦٣.

(٣) الأنبياء: ٦٤.

(٤) الأنبياء: ٦٥.

معهم.

وشأن أبي طالب مع قريش كإبراهيم الخليل عليه السلام، كلّ منهما كتما إيمانهما وأخفيا إسلامهما تلطّفا بقومهما حتى يستحكم أمر الرسالة ويتمكّن النبيّ صلى الله عليه وآله من بلوغ الغرض.

مَنْ كتم إيمانه لإقتضاء المصلحة: مؤمن آل فرعون

جائت قصّة مؤمن آل فرعون في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَيَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.(١)

هذا مؤمن آل فرعون كان يخفي عنهم حاله، ويدخل معهم بيوت متعبداتهم، ويقسم بمعبودهم، ويأكل من مأكولهم، ويشرب من مشروبهم، حتى تمّ له ما كان يسرّه من التوحيد بالله، ولم يعلموا بحاله حتى جاءهم موسى عليه السلام فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ثمّ حدّ لهم: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ حتى كان عليهم موضع عنايته به ولم يقل (وهو صادق)، وإنّما قال: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقاً﴾ تلطّفاً بهم، وكان فرعون قد عزم على قتل موسى عليه السلام، وشايعه قومه على ذلك، وكان الرجل المؤمن مرضياً

---

(١) غافر: ٢٨.

عندهم، يرجعون إلى رأيه، ويسمعون قوله، فدفع عن موسى عليه السلام القتل بوجهٍ لطيف، ولو كان مظهراً الإيمان لما أطاعوه، ولا قبلوا منه، بل كانوا يعادونه، ويقتلونه.

إذا عرفت هذه سيرة رجل مؤمن أراد أن ينقذ موسى عليه السلام من كيد فرعون، فما أشبه هذه السيرة بسيرة أبي طالب عليه السلام فهو كان يتلطّف بقومه حِفاظاً على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، فقد كان يدعو بدعائهم ويحضر مجامعهم ويقسم بمعبودهم ـ توريةـ وكان سيّدهم الذي يصمدون إليه، وعميدهم الذي يعوّلون عليه، ويرجعون إلى قوله ويستمعون إلى حديثه، وكان أوفى مرتبة من مؤمن آل فرعون، لأنّه صدّق النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله في أشعاره وخطبه، وكشف أمره وأعلن بصحّة نبوّته، وخاصم قومه وناظرهم، حتى إنتهى المقام بهم أن كتبوا الصحيفة التي بموجبها قاطعت قريش آل المطلب من بني هاشم ومن تابعهم.

فإن كان أبو طالب بكتمان إيمانه وإخفاء إسلامه كفر، فكذلك هذا الذي قد سمّاه الله في كتابه مؤمناً، ثمّ شهد عليه أنّه يكتم إيمانه قد كفر بكتمان إيمانه... بينما الأمر ليس كذلك، فإذا قلنا بصدق المقدمات صدقت النتيجة... وقد أجمع أهل الفنّ والبيان والذي ساقه علماء المذاهب، حيث أكّدوا أنّ كفر اللسان لا يقدح بصدق إيمان القلب طالماً هناك ضرورة أو عذر مشروع، كالحفاظ على النفس، ودرء الخطر أو القتل وما شابه ذلك.

ممّن كتم إيمانه: أصحاب الكهف

ممّن كتم إيمانه أصحاب الكهف، وقد نزلت فيهم سورة كاملة، وهي السورة الثامنة عشر من ترتيب المصحف الكريم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً، إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾.(١)

وأمّا قومهم فكانوا مشركين يعبدون آلهة لا تسمع ولا تعي، قال تعالى في معرض شركهم: ﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾.(٢)

قال الغفاري: هؤلاء فتية آمنوا بالله وقد نبذهم القوم، بل سعوا إلى قتلهم فكتموا إيمانهم حتى ينجووا بأنفسهم، وقصّتهم مشهورة معلومة في التفاسير وكتب التاريخ، والذي كان يتلطّف بقومه هؤلاء الفتية، ورد الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ جبرئيل أتىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول لك: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان، وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان، وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين.(٣)

---

(١) الكهف: ٩ـ ١٠.

(٢) الكهف: ١٥.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٦٦، والغدير: ٧/ ٣٩٠.

نصرة أبي طالب للنبيّ صلى الله عليه وآله
منذ بدء إعلان الدعوة

بعد هذا العرض السريع عرفنا أنّ سبب كتمان أبي طالب عليه السلام إيمانه هو لنصرة النبيّ صلى الله عليه وآله، وهذا ما لا نقاش فيه، وأنّ جميع المصادر التاريخية أكّدت هذا الأمر.

نقل أبو جعفر السروي عن الطبري والبلاذري أنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[1]، صدع النبيّ صلى الله عليه وآله ونادى قومه بالإسلام، فلمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2]، أجمعوا على خلافه، فحدب عليه أبو طالب ومنعه، فقام عتبة، والوليد، وأبو جهل، والعاص إلى أبي طالب فقالوا إنّ إبن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا، وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردّهم ردّاً جميلاً، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله على ما هو عليه يظهر دين الله، ويدعو إليه، وأسلم بعض الناس، فانهمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً وإنّا قد استنهيناك أن تنهي إبن أخيك فلم ينته، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنّا أو ننازله في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، فقال أبو طالب للنبيّ صلى الله عليه وآله: ما بال أقوامك

---

(١) سورة الحجر: ٩٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٨.

يشكونك؟

فقال صلى الله عليه وآله: «إنّي أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية».

فقالوا: كلمة واحدة، نعم وأبيك عشراً.

قال أبو طالب عليه السلام: وأيّ كلمة هي يابن أخي؟

قال صلى الله عليه وآله: ﴿لا إلهَ إلاّ اللّـهُ﴾. فقاموا ينفضون ثيابهم ويقولون: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحِداً إنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ، وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ إنَّ هٰذا لَشَيْءٌ يُرادُ، ما سَمِعْنا بِهٰذا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إنْ هٰذا إلاّ اخْتِلاقٌ، أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ﴾.(١)

قال إبن إسحاق: إنّ أبا طالب قال للنبيّ صلى الله عليه وآله في السرّ: لا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قد بدا لعَمّه وأنّه خاذله، وأنّه قد ضعف عن نصرته، فقال: «يا عمّاه لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتّى أنفذه أو أقتل دونه»، ثمّ استعبر فبكى، ثمّ قام يولي، فقال أبو طالب: إمض لأمرك فوالله ما أخذلك أبداً، ثمّ أنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى أوسّد في التراب دفينا

الأبيات.(٢)

---

(١) سورة ص: ٥ـ٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١/ ٨٨، طبعة دار الأضواء، بيروت

وروى إبن شهر آشوب السروي، عن مقاتل: لمّا رأت قريش محمّداً يعلو أمره قالوا: لا نرى محمّداً يزداد إلّا كبراً وتكبّراً، وإن هو إلّا ساحرٌ أو مجنون، وتوعّدوه وتعاقدوا لئن مات أبو طالب ليجمعنّ قبائل قريش كلّها على قتله. وبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش، فوصّاهم برسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: إنّ إبن أخي كما يقول، أخبرنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا، أنّ محمّداً نبيّ صادق وأمين ناطق، وأنّ شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربّه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وراموا عدوّه من وراء حوزته، فإنّه الشرف الباقي لكم الدهر.[1]

١٩٩١م.

(١) المصدر نفسه.

الفصل الثاني

نبوءات أبي طالب عليه السلام

ممّا يستدل على إيمان أبي طالب عليه السلام نبوءاته الصادقة التي حدّث بها أو أشار إليها في موارد عديدة من كلامه وفي مناسبات مختلفة.

من تلك النبوءات حديث النخلة وتدلّي أغصانها حتى أكل النبيّ صلى الله عليه وآله رطباً منها.

وإليك الحديث برواية القطب الراوندي.

من كلام أبي طالب عليه السلام في حقّ إبن أخيه صلى الله عليه وآله

روى القطب الراوندي في كتابه الخرائج والجرائح عن فاطمة بنت أسد أنّها قالت: لمّا توفّي عبد المطلب أخذ أبو طالب عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله عنده لوصيّة أبيه به، وكنت أخدمه، وكان في بستان دارنا نخلات، وكان أوّل إدراك الرطب، وكنت كلّ يوم التقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي. فاتفق يوماً أن نسيت أن التقط له شيئاً

ونسيت جاريتي أيضاً، وكان محمّد نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كلّما سقط من الرطب وانصرفوا، فنمت ووضعت الكمّ على وجهي حياءً من محمّد صلى الله عليه وآله إذا انتبه. فانتبه صلى الله عليه وآله ودخل البستان فلم ير رطبة على وجه الأرض، فأشار إلى نخلة وقال: أيّتها الشجرة أنا جائع، فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها، التي عليها الرطب حتى أكل منها ما أراد، ثمّ ارتفعت إلى موضعها، فتعجّبت من ذلك، وكان أبو طالب عليه السلام غائباً، فلمّا أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال: هوإنّما يكون نبيّاً، وأنتِ تلدين له وزيراً بعد يأس، فولدت عليّاً عليه السلام كما قال.(١)

قال الغفاري: أنظر إلى هذا الإيمان الراسخ في أبي طالب عليه السلام وعقيدته بإبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله وأنه صائر بأمر الله نبيّاً وإبنه عليّاً وزيره.

لا يصدر هذا الكلام إلّا من شخص مؤمن له صلة روحية ودينيّة بالأوصياء والأنبياء. وقد عرفت في بعض ما أسلفناه أنّ أبا طالب عليه السلام كان من سلالة الأوصياء وأنّ مواريث الأنبياء انتقلت إليه، ولمّا بعث النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله سلّمها إلى النبيّ.(٢)

ومن نبوءات أبي طالب عليه السلام ما جاء في خطبته التي خطبها لمّا تزوّج

---

(١) الخرائج والجرائح، للقطب الراوندي: ١/ ١٣٩، ط قم، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.

(٢) الكافي: ١/ ٣٧٠.

بفاطمة بنت أسد.

قال فيها: الحمد لله ربّ العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً من الخنى والريب والاذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضّلنا على العشائر، نخبُ آل إبراهيم وصفاته، وزرع إسماعيل.(١)

ومن نبوءات أبي طالب عليه السلام خطبته التي خطبها في تزويج النبيّ صلى الله عليه وآله.

قال فيها: الحمد لله الذي جعلنا من ذريّة إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوباً، وجعلنا الحكّام على الناس، ثمّ أنّ محمّد بن عبد الله أخي مَن لا يوازن به فتى من قريش إلّا رجح عليه برّاً وفضلاً وحزماً وعقلاً ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال قل، فإنّما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعليّ، وله والله خطب جليل ونبأ شايع.(٢)

يطالعنا في هذا النصّ عدّة أمور:

أوّلاً: إنتساب أبي طالب عليه السلام إلى النبيّ الله إسماعيل ثمّ إبراهيم عليهما السلام فهو وأخوه عبد الله ـ والد النبيّ صلى الله عليه وآله ـ من دوحة واحدة؛ من زرع

---

(١) البحار: ٣٥/ ٩٨، ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) ينظر كتاب إيمان أبي طالب عليه السلام لشمس الدين فخار بن معد الموسوي: ص ٢١٤، والسيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٢٠، ط القاهرة.

إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

ثانياً: المدح والثناء على إبن أخيه لا يصدر إلّا عن يقين بما في الممدوح من الصفات الحقّة.

ثالثاً: نبوءة أبي طالب فيما يصير إليه إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله.

رابعاً: صدّر كلامه بالحمد ـ الحمد لله ـ وهو من أجل مصاديق الإيمان بالله.

خامساً: القَسَم بالله، هكذا قَسَمٌ لا يصدر إلّا من موحّد.

سادساً: الإعتراف بأنّ لمحمّد صلى الله عليه وآله شأناً عظيماً وخطباً جليلاً، ونبأ شايعاً... هذا الإعتراف لم يصدر إلّا من معرفة أبي طالب عليه السلام بفضل إبن أخيه، ومكانته عند الله سبحانه، وأمّا النبأ الشايع الذي أخبرنا به أبو طالب فهوالتكليف السماوي لتحمّل محمّد صلى الله عليه وآله الرسالة والنبوة من الله جلّ إسمه، فهو خليفة الله في الأرض والرسول إلى كافة المخلوقات من إنس وجنّ.

ليت شعري هل بعد هذا اليقين يوجد شك في إيمان شيخ الأبطح؟!

أبو طالب عليه السلام ومحبّته للنبيّ صلى الله عليه وآله

كان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي احياناً ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لأبويه، وكان شديد الحبّ والحنو عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحبّ له.

محبّة أبي طالب عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله

إنّ محبّة أبي طالب عليه السلام لإبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله ونصرته له ظاهرة جليّة لا يدفعها إلّا جاهل، ولا يجحدها إلّا معاند، وقد طفح ذلك الحبّ في شعره، من ذلك قوله:

حليماً رشيداً حازماً غير طائش يوالي إلٰه الخلق ليس بماحلِ

الماحل: المحتال، الماكر.

فأيّده ربُّ العبادِ بنصره واظهر ديناً حقّه غير باطل

مَنْ تأمل هذا المدح، وأمثاله كثير، عرف منه صدق ولاء صاحبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وإعترافه بنبوّته.

وفي هذا البيت إقرارٌ بالتوحيد أيضاً (تأمّل في عبارته: يوالي إلٰه الخلق ....).

رحلة أبي طالب عليه السلام إلى الشام ولقاء بَحِيرا الراهب

روى المجلسي عن داود بن الحصين قال: لمّا خرج أبو طالب عليه السلام من الشام وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في المرّة الأولى وهو إبن إثنتي عشرة سنة فلمّا نزل الركب بصرى الشام وبها راهب يقال له (بَحِيرا) في صومعة له، وكان علماء النصارىٰ يسكنون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه.

فلمّا نزلوا بـ(بحيرا) وكان كثير ما يمرّون به لا يكلّمهم، حتى إذا كان

ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعة قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلّما مرّوا، فصنع لهم طعاماً، ثمّ دعاهم، وإنّما حمله على دعوتهم أنّه رأى حين طلعوا غمامة تظلّل رسول الله صلى الله عليه وآله من بين القوم، حتى نزلوا تحت الشجرة، ثمّ نظر إلى تلك الغمامة اظلّت تلك الشجرة.

واخضلت أغصان الشجرة على النبيّ صلى الله عليه وآله حين استظل تحتها.

فلمّا رأىٰ بَحِيرا ذلك نزل من صومعته، وأمر بذلك الطعام فأتى به فأرسل إليهم فقال: إنّي قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحبّ أن تحضروه كلكم ولا تخلفون منكم صغيراً ولا كبيراً، حرّاً ولا عبداً، فإنّ هذا شيء تكرموني به، فقال له رجلٌ: إنّ لك شأناً يا بَحِيرا! ما كنت تصنع بنا هذا، فما شأنك اليوم؟ قال: فإنّي أحببت أن أكرمكم، ولكم حقّ، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله صلى الله عليه وآله من بين القوم لحداثة سنّه، ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة، فلمّا نظر بَحيرا إلى القوم، فلم ير الصفة التي يعرفها ويجدها عنده، وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم، ويراها متخلّفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال بَحيرا: يا معشر قريش لا يتخلّفن أحد منكم عن طعامي. قالوا ما تخلّف أحدٌ إلّا غلام هوأحدث القوم سنّاً في رحالهم، فقال: ادعوا فليحضر طعامي فما أقبح أن تحضروا ويتخلّف رجل واحد مع أنّي أراه من أنفسكم.

فقال القوم: هو والله أوسطنا نسباً، وهو إبن أخي هذا الرجل؛ يعنون أبا طالب، وهومن ولد عبد المطلب.

فقام الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وقال: والله إن كان بنا اللؤم أن يتخلّف إبن عبد المطلب من بيننا، ثمّ قام إليه فأحتضنه وأقبل به حتى اجلسه على الطعام والغمامة تسير على رأسه، وجعل بَحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته.

فلمّا تفرّقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يا غلام اسألك بحقّ اللآت والعزّىٰ إلّا أخبرتني عما اسألك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تسألني باللآت والعزّىٰ، فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما.

قال: بالله إلّا ما أخبرتني عمّا اسألك.

قال: سلني عمّا بدأ لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثمّ جعل ينظر بين عينيه، ثمّ كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، على موضع الصفة التي عنده، فقبّل موضع الخاتم، وقالت قريش إنّ لمحمّد عند هذا الراهب لقدراً، وجعل أبو طالب لمّا يرى من الراهب يخاف على إبنه.

قال الراهب لأبي طالب عليه السلام: ما هذا الغلام منك؟

قال أبو طالب عليه السلام: إبني.

قال: ما هوإبنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً.

قال: فإبن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال: هلك وأمّه حبلى به.

قال: فما فعلت أمّه؟

قال: توفيت قريباً.

قال: صدقت، ارجع بإبن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبلغنّه غثاً، فإنّه كائن لإبن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا، وما روينا عن آبائنا، وأعلم أنّي قد أدّيت إليك النصيحة.

فلمّا فرغوا من تجارتهم خرج سريعاً وكان رجال من اليهود قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفوا صفته، فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بَحيرا فذاكروه أمره، فنهاهم أشدّ النهي وقال لهم: أ تجدون صفة؟

قالوا: نعم.

قال: فما لكم إليه سبيل، فصدّقوه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه.(١)

وفي ذلك قال أبو طالب قصيدة يذكر مسيره بالرسول صلى الله عليه وآله إلى الشام وما كان في بُصرى من خبر بَحيرا الراهب وأصحابه، وكان بَحيرا يقول: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله نبيّ.

إنّ الأمـينَ مُحـمَّداً في قـومِهِ عندي يفوقُ منازِلَ الأولاد(٢)

---

(١) البحار، للمجلسي: ١٥/ ٤٠٩، ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) في سيرة إبن إسحاق:

إنّ إبـن آمـنة النـبيّ محـمّداً عـندي بمـثل منازل الأولادِ

لمـــا تـعلّقَ بـالزِمامِ ضَـمَمْتُهُ والعِيْسُ قد قلّصْنَ بالأزوادِ[١]
فارْفَضَّ مِن عَينَيَّ دَمْـعٌ ذارِفٌ مـــثلُ الجُـــمانِ مُـفرَّقٌ بـبدادِ
راعيتُ فيهِ قـرابـةً مـوصولةً وحفِظتُ فيه وصـيةَ الأجـدادِ
ودعوتُه للـصبْرِ بـينَ عُـمومةٍ بيضِ الوجوهِ مَـصالتٍ أنجـادِ
ساروا لا بـعدَ طَـبّةٍ مـعلومةٍ فـلقد تـباعَدَ طـبّةُ المُـرتادِ[٢]
حتّى إذا ما القَومُ بُصرى عايَنوا لاقَوا على شرفٍ من المِـرصاد
حَبْراً فأخبَرَهم حَـدِيثاً صـادقاً عَـــنه وَرَدَّ مَـــعاشِرَ الحُسّـــادِ
قومٌ يهودٌ قد رأوا ما قد رأوا ظِلَّ الغمامةِ ناغري الأكبادِ[٣]
ثـــاروا لقـــتل محـمّدٍ فـنهاهُمُ عنهُ وجـاهَدَ أحسَـنَ التـجّهادِ
وثـــنى بَحـيراءُ زَبـيراً فـانثنىٰ في القـومِ بـعد تجـاولٍ وتـعادِ
ونَهى دريساً فانتهىٰ لمّا نُهـي عن قول حَبْرٍ ناطق بسدادِ[٤]

وقال قصيدة أخرى في مسيره بالرسول صلى الله عليه وآله إلى الشام وما جرى لهم من بَحيرا الراهب يقول فيها:

وجـاءَ مـع العِـير التي راحَ رَكْـبُها
شامِي الهوىٰ والرّكبُ غـيرُ شـامي
فلمّا هَبطنا أرضَ بُـصرى تـشرّفوا
لنـــا فـــوق دُورٍ يـــنظرونَ عِـظامِ

---

(١) تقلّص: تقبّض.
(٢) الطبّة: الناحية.
(٣) نعرت القدر: غلت وفارت.
(٤) دريس: من الأحبار.

فـــجاءَ بَحـيراءُ إليـنا محـاشِداً
بـــطيبِ شرابٍ عـنده وطَـعامِ
فقال:اجمعواأصحابَكم عندما رأى
فـقلنا: جمـعنا القـومَ غـيرَ غُـلامِ
يـتيمٍ، فـقال: ادعُـوه، إنَّ طـعامَنا
له دونكـم مـن سُـوقَةٍ وإمـامِ[1]
وآلى يمـيناً بَـرّةً إنّ زادنـا
كـثيرٌ عـليه اليـوم غـيرُ حـرامِ
فـلولا الذي خـبّرتُمُ عـن محمّدٍ
لكـنتُم لديـنا اليـومَ غـيرَ كِـرامِ
وأقـبَلَ رَكبٌ يَـطلُبون الذي رأىٰ
بَحـيراءُ رأيَ العـين وسطَ خـيامِ
فـثار إليهـم خَشْـيَةً لعُـرامِـهم
وكـانوا ذوي بَـغي لنـا وعُـرامِ[2]
دريسٌ وهمّـامٌ وقـد كـان فـيهمُ
زديـرٌ وكـلُ القـومِ غـيرُ نِـيامِ[3]

---

(١) السُوفة: عوام الناس.

(٢) العُرام: الشراسة.

(٣) دريسٌ، همام، زدير: رجال من اليهود.

فـجاءوا وقـد همُّوا بـقتلِ محـمّدٍ
فـــردَّهُمُ عـــنه بحُســـنِ خِـصامِ
بـــتأويلهِ التـــوراةَ حـــتّى تـــيقّنوا
وقـــال لهـــم: دُمـــتم أشـــدَّ مـرامِ
أ تـــــبغونَ قـــتلاً للـــنبيّ محـــمّدٍ
خُـصِصتُم عـلى شُـؤمٍ بـطولِ أثـامِ
وإنّ الذي نخـــــتاره مـــنه مـــانعٌ
سيكفيهِ مـنكُم كـيدُ كُـلِّ طَـغامِ[1]
فـــــذلك مـــن إعـــلامِهِ وبـــيانِهِ
وليسَ نهـــارٌ واضـــحٌ كـــظَلامِ[2]

نصرة أبي طالب عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله

لقد أطبقت المصادر التأريخية على نصرة أبي طالب عليه السلام للإسلام والنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، فلم يشهد العالم من قبل ومن بعد مثله نصير ومدافع ومحامي إلّا ولده علي عليه السلام، حيث كان لرسول الله صلى الله عليه وآله كما كان أبو طالب مدافعاً وناصراً والتاريخ فيصل في ذلك.

فلو تحرّى الباحث عن مواقف أبي طالب تجاه الإسلام والرسول صلى الله عليه وآله فالمصادر تجلّ عن الحصر، وإعترافات أهل العلم من

---

(١) الطغام: أراذل الناس.

(٢) سيرة إبن إسحاق: ص ٧٧، وخزانة الأدب: ٤ / ٤٧٥.

كافة المذاهب لهي الوثيقة الدامغة في ردِّ مناوئي علي وخصومه، بل المناوئون لبني هاشم على مدىٰ التاريخ....

فما عسى أن يقول الباحث عندما يقرأ عن مساندة أبي طالب للرسول صلى الله عليه وآله، وانّه يحضّ آله وقومه في شدّ أزر صاحب الرسالة وأتباعه، حتى أنّه دفع بولديه؛ علي وجعفر ليكونا جناحيه في كلّ خطوة يخطوها النبيّ لأجل رسالة السماء.

ثمّ ماذا تقول في حرصه الشديد على سلامة محمّد صلى الله عليه وآله إبان محنة الشِّعب، حيث كان يخفي على الناس مرقده، ويأمر ولده عليّاً فيبيت فيه فداءاً منه لشخص الرسول صلى الله عليه وآله؟

ثمّ ماذا تقول في إيثاره على المال والولد والأهل؟! بل أكثر من ذلك، أنّه عادى كلّ قريش ومن يمتّ له بصلة رحم أوقرابة لأجل نصرة وسلامة الرسول صلى الله عليه وآله، حتّى نبذه الأقربون، بل حاربوه، وناجزه الأبعدون حتّى ادغلوا في عداوتهم له...!

الحفاظ على النبيّ صلى الله عليه وآله

من مواقف أبي طالب عليه السلام حراسته للنبيّ صلى الله عليه وآله، وتغيير مكان مبيته في كلّ ليلة.

كان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله في ليله ونهاره، في يقظته ونومه، فإذا عرف مضجعه حرسه حراسة شديدة، ثمّ كان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع إبنه عليّاً أوجعفراً مكانه، وربّما غيّر

مضجعه في الليلة الواحدة أكثر من مرّة، خوفاً عليه.

وفي ذلك قال له علي ليلة: يا أبت إنّي مقتول. فقال له:

إصبرن يا بنيّ فالصبر أحجىٰ كلّ حيّ مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد لفداء الحبيب وإبن الحبيب

إلى آخر الأبيات.

فأجابه علي عليه السلام بقوله:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ووالله ما قلت الذي قلت جزعا
ولكنني أحببت أن تر نصرتي وتعلم أنّي لم أزل لك طائعا[1]

ما نطق به أبو طالب عليه السلام في نصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله

لمّا نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2] دعى رسول الله صلى الله عليه وآله عمومته وفيهم أبو لهب وأبو طالب عليه السلام وجماعة من قريش وقام فيهم خطيباً يدعوهم إلى الإسلام، فنهره أبو لهب وقال له: تبّاً لك، أما جمعتنا إلّا لهذا؟

ثمّ دعاهم ثانية وقام فيهم خطيباً فقال: الحمد لله أحمده واستعينه وأومن به وأتوكّل عليه، وأشهد أنّ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له. ثمّ قال: إنّ الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلّا هو إنّي رسول الله

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/ ٦٤، ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

إليكم خاصة وإلى الناس عامّة، والله لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، وإنّها الجنّة أبداً والنار أبداً.

فقال أبو طالب: ما أحبّ إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشدّ تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنّما أنا أحدهم، غير أنّي اسرعهم إلى ما تحبّ، فامضِ لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أنَّ نفسي لا تُطاوعني على فراق دين عبد المطلب.(١)

وقفة لا بدّ منها

قال الغفاري: إنّ ذيل الخبر (غير أنّ نفسي لا تُطاوعني على فراق دين عبد المطلب) يعارض صدره ظاهراً، أمّا في تأويله فيستقيم المعنى.

أنظر إلى عبارات أبي طالب عليه السلام السابقة التي فيها عدّة فقرات تؤكّد نصرة أبي طالب لإبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله وهي كالآتي:

١ ـ ما أحبّ إلينا معاونتك.

٢ ـ وأقبلنا لنصيحتك.

٣ ـ وأشدّ تصديقنا لحديثك.

٤ ـ أنّي اسرعهم إلىٰ ما تحبّ.

٥ ـ فامضِ لما أُمرت به.

---

(١) الكامل لابن الأثير: ٢ / ٦١، ط دار صادر بيروت ١٩٦٥م.

٦ ـ فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك.

هذه عبارات لامعة قالها أبو طالب يعلن نصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله، أمّا الفقرة التالية لهذه (غير أنّ نفسي لا تُطاوعني...) بماذا لا تطاوعه نفسه...؟ أليس هو على دين عبد المطلب؟ وقد أوضحنا أنّ دين عبد المطلب هي (الفترة) أوالحنيفية أي على دين إبراهيم النبيّ عليه السلام فهو موحّد، مؤمن بالله سبحانه، نعم يمكن أن تقول أنّ المراد من كلامه هوالتعمية على قريش أومن حضر في ذلك المجلس، وهذا إبقاءاً على موقفه لنصرة النبيّ، وبهذا يرتفع التعارض.

وربّما فهم الخصم من تلك العبارة أن أبا طالب لم يؤمن برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّ هذا الفهم واضح البطلان، حيث أبو طالب استعمل التورية في كلامه.

والملاحظة الأخرى أنّ إبن الأثير ينقل هذا الخبر عن عبد الله بن جعفر أبي الحكم وبعد صفحة واحدة ينقل الحديث عن الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام ولم توجد فيه تلك العِبارة المذيّلة (غير أنّ نفسي لا تُطاوعني... الخ) فتدبّر.

وفي رواية أبي عمرو الزاهد الطبري عن تغلب عن إبن الأعرابي أنّه قال في لغة العور: إنّه الرديّ من كلّ شيء قال: ومن العور ما في رواية إبن عباس. ثمّ ذكر حديث علي عليه السلام بطوله إلى أن قال: فلمّا أراد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يتكلّم اعترضه أبو لهب فتكلّم بكلمات وقال: قوموا. فقاموا وانصرفوا.

قال علي عليه السلام: فلمّا كان من الغد أمرني فصَنعت مثل ذلك الطعام

والشراب ودعـوتهم فأقـبلوا، ودخـلوا فأكـلوا وشربـوا، فـقام رسول الله صلى الله عليه وآله ليتكلّم فاعترضه أبو لهب، فـقال له أبـو طـالب: «أسكت» يا أعور! ما أنت وهذا؟[1]

ثمّ قال: لا يقومنَّ أحدٌ. فجلسوا ثمّ قال للنبيّ صلى الله عليه وآله قم يا سيّدي فتكلّم بما تحبّ وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق.

قال الغفاري: أنظر إلىٰ هيمنة أبي طالب عـلى زعـماء قـريش وتسلّطه عليهم وسيادته في هذا الموقف ـ وأمثاله كثير ـ وإسكات أبي لهب.

ثمّ أنظر إلى توبيخه لأبي لهب حتّى كاد أن لا ينبس ببنت شفة بعد هذا الموقف.

ثمّ أمعن النظر في قول أبي طالب عليه السلام: «قم يا سيّدي» أنّه خطاب جليل للنبيّ صلى الله عليه وآله.

وقوله: «تكلّم بما تحبّ وبلّغ رسالة ربّك». أنّ هذا كلام لا ينطق به أحد إلّا من مُليء إيماناً ويقيناً صادقاً برسالة السماء، وإعترافاً بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله.

ثمّ قوله عليه السلام: «فإنّك الصادق المصدّق»، تغنِ عن كلّ دليل، فهي

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطـوائـف، السـيد رضي الديـن إبـن طـاووس: ص ٣٠٠، مطبعة الخيام، قم ١٤٠٠هـ. والنهاية في غريب الحديث لإبن الأثير الجزري: ٣/ ٣١٩، المكتبة العلمية بيروت. وينظر: البداية والنهاية، لإبن كثير الدمشقي: ٣/ ٥٠. والفائق في غريب الحديث للزمخشري: ٢/ ٣٧، ط ٣، طبعة دار الفكر ١٩٧٩م. ولسان العرب: ٦/ ٢٩٤. وتاج العروس: ٣/ ٤٢٨.

الكلمة الصريحة التي تُعَنْون إيمان أبي طالب عليه السلام على مدى التاريخ.

روايات وتعقيب

لمّا كان البحث في صدد موقف أبي طالب عليه السلام الناهض بأعباء النصرة للنبيّ صلى الله عليه وآله ومواجهته لزعماء قريش، ينبغي الإشارة إلى ما رواه إبن كثير في كتابيه (التفسير) و(البداية والنهاية)، فقد ذكر في تفسيره تسعَ روايات في معرض تفسيره للآية الكريمة ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وكانت هذه الروايات طرقها كالآتي:

١ ـ عن سعيد بن جبير عن إبن عباس، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعمش، والحديث ـ كما تقدّم ـ دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله زعماء قريش وأعمامه، منهم العباس وحمزة وأبو طالب وأبو لهب، وما حدث في تلك الدعوة وإعتراض أبي لهب، وموقف أبي طالب عليه السلام ـ الوحيد المتفرد ـ في إعلان نصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله.

٢ ـ عن عائشة، قالت لمّا نزلت الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا فاطمة إبنة محمّد، يا صفيّة إبنة عبد المطلب، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من ما لي ما شئتم»، انفرد بإخراجه مسلم.

٣ ـ عن أبي هريرة، قريب من الحديث السابق رواه مسلم والترمذي والنسائي، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري

عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة.

٤ـ أحمد بن حنبل بسنده عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا: لمّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد رسول الله صلى الله عليه وآله رضمة من جبل علىٰ أعلاها حجر فجعل ينادي «يا بني عبد مناف إنّما أنا نذير، إنّما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب يربأ أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادي ويهتف يا صباحاه».

٥ـ أحمد بن حنبل بسنده عن عليّ عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لهم ـ لقريش ـ: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجلٌ لم يسمّه شريك... قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال عليّ عليه السلام: أنا.

٦ـ أحمد بن حنبل بسنده عن علي عليه السلام حديث مفصّل وفي كلّ مرّة يدعو النبيّ صلى الله عليه وآله عشيرته فلم يقم إلّا علي حتى كان في الثالثة ضرب بيده علىٰ يد علي عليه السلام.

٧ـ طريق الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن إبن عباس عن علي بن أبي طالب عليهما السلام والحديث مفصّل كما في صدر البحث في دعوة النبيّ عشيرته وكانوا أربعين....

٨ـ طريق يرويه أبو جعفر الطبري عن إبن عباس عن علي عليه السلام، كما تقدّم الحديث في صدر البحث... فقام علي فقال صلى الله عليه وآله: إنّ هذا أخي (وكذا وكذا).

٩ـ إبن أبي خاتم بسنده عن عبد الله بن الحارث عن علي عليه السلام كما

تقدّم الحديث في صدر البحث.[١]

انّك تجد هذه الروايات قريباً منها في البداية والنهاية أو هي نفسها بدون تغيير وقد نقلها ـ كما تقدّم ـ من مسلم والترمذي والبخاري وأحمد بن حنبل.[٢]

العجيب من رجل التأريخ والتفسير الذي كان عليه أن ينقل تلك الروايات بأمانة وسلامة ولكن من المؤسف جدّاً أنّه خان الدين والتراث، خان الله سبحانه والمسلمين حيث بتر كلّ تلك الروايات من ذكر أبي طالب وموقفه من أبي لهب لمّا نهره وقال له: أسكت يا أعور، ما أنت وذاك، وموقفه المشرّف من إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله حيث قال له تلك العبارات (ألست) التي لا تصدر إلّا عن مؤمن حقّاً.

علىٰ أنّ الروايات التي ذكرها إبن كثير فيها من الملاحظات والنقد الشيء الكثير ليس هذا محلّها.

ومن مواقف أبي طالب عليه السلام:

قال يحثّ جعفراً أن يصلَ جناحَ الرسول في الصلاة:

إنّ عـــليّاً وجـعفراً ثِـقَتي عندَ إحتدامِ الأمورِ والكُرَبِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء إبن كثير الدمشقي: ٣ / ٣٦٢ـ ٣٦٤، دار المعرفة بيروت ١٩٨٧م.

(٢) للمزيد ينظر: صحيح مسلم في كتاب الإيمان: باب ٨٩، حديث ٣٥٥، وصحيح البخاري: في ٦٥ وكتاب التفسير باب ١١١، وفتح الباري: ٨ / ٧٣٦، ومسند أحمد: ١ / ٢٨١ و٣٠٧، والبداية والنهاية: م ٢ ج ٣ / ٥١ ـ ٥٤، دار إحياء التراث العربي.

أراهُمـــا عـــرضة اللـقاء إذا سامَيتُ أو أنتمي إلىٰ حـربِ
لا تَخْذُلا وانْصُرا إبنَ عَـمَّكما أخي لأمّي مـن بـينهم وأبي

قال أبو الفرج الإصبهاني: حدّثني أبو العباس المبرّد قال: حدّثني إبن عائشة، قال: مرّ أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلّي وعلي عليه السلام عن يمينه، وجعفر مع أبي طالب يكتُمه إسلامه، فضربَ عَضُدَه وقال: إذهب فصِلْ جناحَ إبن عمّك، ثمّ قال الأبيات المتقدّمة.(١)

أخرج إبن الأثير: إنّ أبا طالب رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّاً عليه السلام يصلّيان وعليّ عليه السلام إلى يمينه، فقال لجعفر وكان مع أبيه، صِل جناح إبن عمّك، وصلٌ عن يساره.(٢)

كان إسلام جعفر بعد إسلام علي عليه السلام بقليل.

وفي السيرة الحلبية عدّة روايات ذكرها المصنف في نصرة أبي طالب للنبيّ صلى الله عليه وآله فراجع.(٣)

قال البرزنجي: هذه الأخبار كلّها صريحة في أنّ قلبه ـ أي قلب أبي

---

(١) وتروىٰ الأبيات بالشكل الآتي:

والله لا أخْـــــذُلُ النّـــبيّ ولا يَخْـــذُلُهُ مـــن بَـــنيّ ذو حَسَبِ
إنّ عـــــليّاً وجـــعفراً ثِـــقَةٌ وعِـــصمَةٌ في نـــوائبِ الكُـــرَبِ
لا تـــقْعُدا وانـــصُرا إبـــن عَـــمّكُما أخـــي لأمّـــي مـــن بـــينهم وأبي

المصدر: شرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/ ٢٦٩ و١٤/ ٧٦.

(٢) ينظر: أسد الغابة: ١/ ٢٨٧، دار إحياء التراث العربي بيروت. والإصابة للعسقلاني: ٤/ ١١٦، دار إحياء التراث العربي، مطبعة السعادة مصر.

(٣) السيرة الحلبية: ١/ ٢٨٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

طالب عليه السلام ـ طافح وممتلىء بالإيمان بالنبيّ صلى الله عليه وآله.[١]

قال الغفاري: من الأبيات المتقدّمة، ومن تلك الأخبار المتضافرة نجزم علىٰ أنّ أبا طالب عليه السلام كان الداعية الأوّل للإسلام والمبلّغ الرسالي في بثّ الروح الإسلامية في نفوس قومه وأبنائه وعشيرته.

ثمّ لا يخفاك عزيزي القاريء أنّ العسقلاني ذكر جملة من أخبار أبي طالب عليه السلام وبطرق عديدة، إلّا أنّ عناده فقد ختم تلك الأخبار بقوله: «هذه الأحاديث واهية» ولوسألته ما الدليل؟ لأجابك لم تكن على شرط الشيخين فهل هذا منطق أهل العلم، أم أنّك تراه في بؤرة الجهل والعناد....

دليل إيمانه من خلال مواقفه

أوّلاً: موقفه من قريش وثأره لعثمان بن مظعون

هناك حدث تعرّض له الصحابي الجليل عثمان بن مظعون الجمحي في أوائل البعثة الإسلامية، لمّا شرح الله صدر إبن مظعون للإيمان وهداه الله إلى طريق الرشاد فاعتنق الإسلام بكلّ عقيدة وإخلاص، فكان إيمانه راسخاً، وصبره كالجبال ثابتاً، وقد وجد في نفسه ما هو واجب في أداء رسالته في التبليغ إلى الله سبحانه، فكان يقف عند باب الكعبة ويعظ الناس ويزجرهم عن عبادة الأصنام، حتّى كان يقف

---

(١) الغدير: ٧/ ٣٩٨.

عند مجامع قريش واندیتهم، فيأمرهم بإتباع النبيّ صلى الله عليه وآله وتصديقه، ويحذّرهم مغبة الكفر والجحود، فشقّ هذا الأسلوب والمنظر على قريش مما وثب عليه سفهاؤهم ففقأوا عينه، فنهض أبو طالب في أمره حيث علاه الغضب الشديد، واصرّ علىٰ أن يفقأ عين الرجل المعتدي، أمّا قريش فقد اجتمعوا إلى أبي طالب وناشدوه العفو على أن يؤدّوا له الدية، فأقسم له: إنّي لا أرضىٰ حتى أقلع عين الذي قلع عين إبن مظعون.

ثمّ قال:

أمن تذكر دهر غير مأمون أصبحت مكتئباً أبكي لمحزون

إلى آخر الأبيات.

أقول: ألا يكون هذا الثأر دليلاً علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام!

ثمّ قال:

أم تذكر أقوامٍ ذوي سفه
يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين

أي إلى دين الإسلام ودعوة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله إليه.

ألا يرون أقل الله خيرهم أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
ونمنع الضيم من يرجو مضيمتنا بكلّ مطرد في الكف مسنون
ومرهفات كأن الملح خالطها نشفي بها الداء من هام المحانين
حتى تقرّ رجال لا حلوم لهم بعد الصعوبة بالإسماح واللين
أو يؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبيّ كموسىٰ أوكذي النون

فاذا تفسّر هذا الدفاع المستميت عن عثمان بن مظعون؟

ألا يكون دفاعه وغضبه لله سبحانه؟

فليس هنا الدفاع عن النبيّ صلى الله عليه وآله بل إنّما هو الدفاع عمّن آمن بالله وبالدين الحنيف....

إذاً أبو طالب عليه السلام ـ من هذه القصّة وأمثالها كثير ـ نعلم أنّه كان مؤمناً بالله حقّ الإيمان، وغيور كلّ الغيرة على من آمن واهتدى، وهذا خير دليل علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام، فتدبّر.

ثانياً: موقفه من وفود قريش

وقال مخاطباً قريش لمّا عرضت عليه أن يعطوه عُمارة بن الوليد ويأخذوا منه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ليقتلوه، فأبى عليهم وقال: والله ما أنصفتموني تعطوني إبنكم أغذوه لكم وأُعطيكم إبن أخي تقتلونه، هذا والله لا يكون أبداً.

فقال له مُطعِم بن عَدِيّ لقد أنصفك قومك يا أبا طالب فقال: والله ما أنصفتموني، ولكنّك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليّ. فاشتد الأمر بعد ذلك وتنادوا للحرب فانشد الأبيات الآتية يُعرِّض بالمُطعِم بن عدي ويعمّ من خذله من بني عبد مناف:

ألا ليتَ حَظّي مِن حِناطِة نـصْرِكم

بأن ليس لي نـفعٌ لديكـم ولا ضُرُّ

وسارَ بـرَحلي فـاطِرُ النـابِ جـاشِمٌ
ضعيفُ القُصَيْرَى لاكبيرٌ ولا بَكرٌ[١]

وفيها يقول:

أرى أخَـــوَينا مِـــن أبـينا وأمِّـنا
إذا سُـئلا قـالا: إلىٰ غـيرنا الأمـرُ[٢]
بَـــلى لهـما أمـرٌ ولكـن تـرجُّمـا
كما رُجِّمَتْ مِن رأسِ ذي العَلَقِ الصَخرُ[٣]
أخـصُّ خُـصوصاً عَـبْدَ شمسٍ ونـوفلاً
هُمـا نـبذانـا مـثلَ مـا نَـبِذَ الجَـمْرُ
ومـــا ذاك إلّا سُـــؤدَدٌ خـصَّنا بـهِ
إلـهُ العِـباد واصـطفانا لَـهُ الفَـخْرُ
هُمـــا غَـــمزا للـقومِ في أخَـوَيْهِما
فـقد أصـبحا مِـنهم أكُـفُّهُمُ صِـفْرُ
هُمـا أشْرَكـا في المَجـدِ مَـن لا أبـاً له
مِـن النـاس إلّا كأن يَـرُسَّ له ذِكْـرُ[٤]

---

(١) القُصَيري: أصل العُنق، والبَكْر: الفتيّ من الإبل.

(٢) يريد بالأخوين: بني نوفل بن عبد مناف وعبد شمس بن عبد مناف.

(٣) الترجم: القول بالظنّ لأنّه يرمي به على غَرَرٍ كالحَجَر. والعَلَق: الذي يتعلق بحجارته في المرقى إليه.

(٤) الرَسّ: الذّكر الخفي، أخذ من الرَس وهو الصَبر والبئر.

رجـــال تمـالَوا حـاسِدينَ وبُـغْضَةً
لأهـــل العُـلا فـبينَهُم أبـداً وتْـرُ
وليـــدٌ أبـــوه كـان عـبداً لِجَـدِّنا
إلى علجةٍ زرقـاء جـالَ بهـا السِحْرُ[1]
وتـــيمٌ ومخـــزومٌ وزُهـرةُ مِـنهُمُ
وكـانوا بـنا أولى إذا بُـغيَ النَـصْرُ
فـــقد سَـفِهَتْ أحـلامُها وعـقولُها
وكـانوا كَـجُعْرٍ بـئسما صَنعت جُـعْرُ
فـــواللهِ لا تـــنفك مـنّا عـداوةٌ
ولا مـنهُمُ مـادام مِـن نَسْـلِنا شَـفْرُ[2]

قـال الغـفاري: ألا يكـون هـذا المـوقف دليـلاً عـلى إيمـان أبي طالب عليه السلام، حيث ردّ وفود قريش وزجرهم واغلظ لهم القول، ثمّ ألا ترى في ردّه لمطعم بن عدي دليلاً آخر وهكذا قصيدته الرائية التي تقدّم ذكرها، حيث تعرّض للوليد بن المغيرة فهو عبدٌ لجـدّه هاشم، وفي القصيدة تجد التعريض السافر لتيم ومخزوم وبني زهرة... فهي التي نصبت العداوة لبني هاشم:

فـواللهِ لاتـنفك مـنّا عـداوةٌ ولا منهم مادام من نَسلِنا شفرُ

---

(١) وليدٌ: هو الوليد بن المغيرة المخزومي.

(٢) سيرة إبن إسحاق: ١٥٣، وسيرة إبن هشـام: ١/ ٢٨٦، والبـدايـة والنهـاية الروض الأنف: ٢/ ٩، وشرح النهج للمعتزلي: ١٥/ ٢٣٣.

ثالثاً: ومن مواقف أبي طالب عليه السلام مشورة الرسول للعباس في إعلان هذا الدين

أخرج فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمّد الدينوري في كتابه نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول، بإسناده عن طاووس عن إبن عباس في حديث طويل: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال للعباس رضي الله عنه: إنّ الله قد أمرني بإظهار أمري وقد انبأني واستنبأني فما عندك؟

فقال له العباس رضي الله عنه: يابن أخي تعلم أنّ قريشاً أشدّ الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطمّاء والداهية العظيمة، ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفا، صِلنا ولكن قرّب إلى عمّك أبي طالب فإنّه كان أكبر أعمامك، إن لا ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه فلمّا رآهما أبو طالب قال: إنّ لكما لظنّة وخبرا، ما جاء بكما في هذا الوقت؟

فعرّفه العباس ما قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وما أجابه به العباس، فنظر إليه أبو طالب وقال له: أخرج إبن أبي فإنّك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلىٰ أباً، والله لا يسلقك لسان إلّا سلقته ألسنٌ حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذللنَّ لك العرب ذلَّ البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إنّ من صلبي لنبيّاً لوددت إنّي

أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به.[١]

قال الغفاري: هل ترى في كلام أبي طالب مداعبة أو مجاملة؟

أم أنّه كلام صادر عن نفس مطمئنة ويقين ثابت؟

إنّه آخر الأوصياء لعيسىٰ بعد أبيه عبد المطلب، فلا يتفوّه إلّا لكونه عالماً بما انبأت به الكتب السماوية ونقلته الأوصياء من جيل إلى جيل حتى شهد بنبوّته جدّه عبد المطلب وعمّه أبا طالب الذي اقتفى أثر أبيه: (إنّ من صلبي لنبيّاً لوددت إنّي أدركت ذلك الزمان فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به).

أقول: لا يثير عجبي إلّا أولئك النفر الذين اغمضوا عيونهم عن تلك الروايات الزاخرة، التي تعد بالمئات، وإنها لتؤكّد إيمان أبي طالب، ومع ذلك تجد القيل والقال في الوقت الذي نعرفه منهم أنهم يثبتون إيمان الكافر بأدنى سبب، وبأدنى خبر واحد، وبالتلويح، فقد بلغت عداوتهم لبني هاشم إلى إنكار إيمان أبي طالب مع ثبوت ذلك عليه بالحجج الثواقب، انّك لو عشت الدهر لأراك العجب.

---

(١) الطرائف لابن طاووس: ص ٣٠٢، حديث ٣٨٨. ونهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، إبراهيم بن علي الدينوري الحنبلي، ذكره إبن طاووس في الطرائف: ص ٣٠٢.

خطاب وتوجيه ونصرة

لأبي طالب عليه السلام عدّة خطابات وجّهها لبني عبد المطلب وهاشم يدعوهم لنصرة الرسول صلى الله عليه وآله:

قال يخاطب أخاه ـ حمزة بن عبد المطلب ـ بعد إسلامه مستبشراً به ومحرّضاً إيّاه على نُصرة النبيّ صلى الله عليه وآله:

فَصَبراً أبا يَعلَى على دينِ أحمدِ
وَكُنْ مُظْهراً للدّين وُفِّقتَ صابراً
وحُطْ من أتى بالحَقِّ مِن عِندَ ربِّه
بصدقٍ وعزمٍ لا تكُنْ حَمْزُ كافِراً
فقد سرّني إذْ قلتَ إنّك مؤمن
فكُن لرسولِ الله في اللهِ ناصِراً
وبادِ قُريشاً بالذي قد أتيته
جَهاداً، وقُلْ: ما كانَ أحمَدُ ساحِراً[1]

وقال يخاطب أخاه أبا لهب وبني هاشم جميعاً ويدعوهم لنصرة النبيّ صلى الله عليه وآله:

قُلْ لِعبدِ العُزى أخي وشقيقي وبني هاشم جميعاً عِزِينا
وصديقي أبي عُمارَة والإخْـ وان طُرّاً وأسرَتي أجمعينا[2]

---

(١) المصدر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤ / ٧٦، ط ٢، دار إحياء التراث العربي.

(٢) أبو عمارة: هو الفاكه بن المغيرة.

إن يكن ما أتى به أحمدُ اليَـو مَ سَناءً وكان في الحشر دينا
فـاعلَموا أنّي له نـاصِرٌ دَهـ ـرِي ومُجـزٍ بـقولَتي خـاذِلينا
فانصُروهُ للرَحمِ والنَسَبِ الأد نىٰ وكونوا له يداً مُصلِتينا[1]

وقال مخاطباً إبن أخيه، ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب:

إعـــلم أبـا أروى بأنّك مـاجدٌ
من صُلبِ شيبةَ فانصُرَنَّ محمّدا
لله درُّك إنْ عَـــرفتَ مكـــانَه
في قـومه ووهـبتَ منك له يَدا
أمّـــا عـــليٌّ فـــارتَبَتْهُ أمُّـه
ونشـا عـلى مـقةٍ له وتَـزَيّدا[2]
شَرَف القـيامَةِ والمـعادِ بـنصرِهِ
وبـعاجلِ الدنـيا يحـوزُ السؤددا
أكـرِمْ بمـن يـقضي إليـه بأمـرِه
نـفساً إذا عُـدَّ النـفوسُ ومَحْتِدا
وخـلائقاً شَرُفَتْ بمـجدِ نِـصابِهِ
يكفيك منهُ اليومَ ما تـرجُـوغدا[3]

هذه الأبيات تنضح إيماناً وعقيدة صادقة بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبما جاء به

---

(١) أصلت الرجل سيفه: إذا برز به، وأصلته إذا جرّده من غمده. الديوان: ص ٤٤.
(٢) إرتبته: أي ربّته. المقَة: الرضاع الشديد.
(٣) الديوان: ص ٤٤.

من عقائد ومفاهيم، فأبو طالب عليه السلام يستهل الأبيات في مدح إبن أخيه ربيعة بن الحارث، ويؤكّد له بأنّك من تلك الأصول التي تنتمي إلى عبد المطلب، فالصلب واحد، والشجرة واحدة وإنّ محمّداً منك وأنت منه فعليك بنصره....

ثمّ في البيت الرابع يكشف أبو طالب عن مكنون قلبه وفيما يعتقده، حيث ذكر القيامة والمعاد، وإنّ الدنيا دار فناء وزوال ـ بعاجل الدنيا ـ وهذه المفاهيم لا يقولها إلّا من محضّ بالإيمان وتشرّف بالإسلام، من هنا يدعو إبن أخيه إلى هذا الدين وإلى تلك المفاهيم، ثمّ يخاطبه بقوله:

أكرِم بمن يقضي إليه بأمره نفساً إذا عُدّ النفوس ومحتدا

وقال في تحريض بني هاشم وبني المطّلب على نُصرة رسول الله صلى الله عليه وآله:

حتّى متى نحنُ على فَترةٍ يا هاشمٌ والقومُ في جَحْفَلِ

تدعُونَ بالخيلِ على رِقبَةٍ منّا لدى الخوفِ وفي مَعْزِلِ[1]

عليهم التّرك على رَعلةٍ مثلَ القَطا القاربِ للمنْهلِ[2]

يا قوم ذُودوا عن جماهِيرِكم بكلّ مِقْصالٍ علىٰ مُسْبلِ[3]

إلى آخر الأبيات.[4]

---

(١) الرِقبة: التحفظ والفزع.

(٢) التَرك: واحدة التريكة، بيضة الحديد للرأس. الرّعلةُ: القطعة من الخيل، والجمع رِعال.

(٣) الجماهير: الأعلام. مِقصال: سيف قطّاع. مُسْبِل: فرس طويل الذَنب.

(٤) سيرة إبن إسحاق: ١٤٨.

وقال يحضّ بني هاشم وبني المطلب وأولاده ـ بعد ما جمعهم ـ على نصرة الرسول صلى الله عليه وآله:

أوصي بنَصر النبيّ الخيرُ مشهدُه
عليّاً ابني وعمَّ الخيرِ عبّاسا
وحمزةَ الأسَدَ المخْشي صولتُه
وجعفراً أنْ يذودا دونَه الناسا
وهاشماً كلّها أوصي بنُصرته
أن يأخذوا دون حربِ القومِ أمراسا
كونوا فداءً لكمْ أمّي وما ولدت
من دون أحمدَ عند الرَوعِ أتراسا
بكُلِّ أبيضَ مصقولٍ عوارِضُهُ
تخالهُ في سوادِ الليلِ مِقباسا[1]

رابعاً: أبو طالب عليه السلام وخطابه للنجاشي

روى الواقدي: بإسنادٍ له أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا كثر أصحابه وظهر أمره، اشتد على قريش ذلك، وأنكر بعضهم على بعض وقالوا: قد أفسد محمّد بسحره سفلتنا، وأخرجهم عن ديننا فلتأخذ كلّ قبيلة من فيها من الصباة ولنعذّبه حتّى يعود عمّا علق به من دين

(١) الديوان، المناقب لابن شهر آشوب: ١/ ٩٣، طبعة دار الأضواء، بيروت ١٩٩١م. وروضة الواعظين: ١/ ٣٢٤.

محمّد صلى الله عليه وآله، وكانت كلّ قبيلة تعذّب من فيها من المسلمين، فيأخذ الأخ أخاه، وإبن العمّ إبن عمّه فيشدّه ويوثقه كتافاً، ويضربه ويخوّفه، وهم لا يرجعون فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[1]، فخرج جماعة من المسلمين إلى الحبشة يقدمهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام فنزلوا على النجاشي ملك الحبشة، فأقاموا عنده في كرامة، ورفيع منزلة، وحسن جوار. وعرفت قريش ذلك فأرسلوا إلى النجاشي عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، فخرج عمرو بن العاص وهو يقول:

تقول إبنتي أين أين الرحيل ... وما النصر مني بمستنكر
فقلت: دعيني فإنّي امرؤ ... أريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كيّة ... أقيم بها نخوة الأصعر
ولن أنثني عن بني هاشم ... بما اسطعت في الغيب والمحضر
وعن عائب اللآت في قوله ... ولولا رضا اللآت لم تمطر
وإنّي لأشنأ قريش له ... وإن كان كالذهب الأحمر

ولهذا القول كان عمرو بن العاص ينبز بشانىء رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه نزلت بإجماع الأمة (الآية): ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[2] فلمّا قدم عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد في رهط من أصحابهما علىٰ النجاشي، تقدّم عمرو فقال: أيّها الملك إنّ هؤلاء قوم من سفهائنا صباة قد

---

(١) النساء: ٩٧.

(٢) الكوثر: ٣.

سحرهم محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، فأدفعهم عنك فإن صاحبهم يزعم أنّه نبيّ قد جاء بنسخ دينك، ومحو ما أنت عليه، فلم يلتفت النجاشي إلى قوله، ولم يحفل بما أرسلت به إليه قريش، وجرىٰ علىٰ إكرام جعفر عليه السلام وأصحابه، وزاد في الإحسان إليهم، وبلغ أبا طالب ذلك، فقال: يمدح النجاشي:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر
وعمرو وأعداء النبيّ الأقارب؟
وهل نال إحسان النجاشي جعفراً
وأصحابه أم عاق ذلك شاعب
تعلّم خيار الناس أنّك ماجدٌ
كريمٌ فلا يشقىٰ لَدَيك المجانب
تعلّم بأنّ الله زادك بسطة
وأسباب خير كلّها لك لازب

فلمّا بلغت الأبيات النجاشي سرّ بها سروراً عظيماً، ولم يكن يطمع أن يمدحه أبو طالب عليه السلام بشِعر فزاد من إكرامهم، وأكثر من اعظامهم، فلمّا علم أبو طالب بسرور النجاشي. قال: يدعوه إلى الإسلام ويحثّه على إتباع النبيّ صلى الله عليه وآله.

تعلّم خيار الناس أنّ محمّداً
وزير لموسىٰ والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به
فكلّ بأمر الله يهدي ويعصم

وإنّكـــم تـــتلونه في كـتابكم
بصدق حديث لا حديث المـترجـم
فـلا تجـعلوا لله نـداً وأسـلموا
فـإن طـريق الحـقّ ليس بمـظلم
وإنّك مـا تأتـيك مـنا عـصابة
لقـصدك إلّا أرجـعوا بـالتّكرم[1]

وفي بعض المـصادر ورد تـفصيل وكـلام وحـوار بـين جـعفر والنجاشي، وقد اعرضنا عن ذكره خوف الإطالة، والذي يهمّنا من كلّ ما تقدّم في هذا الحدث الكلام الصادر من أبي طالب عليه السلام حيث وصف النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بأجلى الصفات وأنّه نبيّ ووزير لموسى عليه السلام والمسيح عيسىٰ عليه السلام، يهدي ويعصم، وقوله للنجاشي: «وإنّكم تتلونه في كتابكم» والكتاب الذي قصده أبو طـالب هـو الإنجـيل، لأنّ النجاشي كان على الديانة النصرانية، ثمّ يدعو النجاشي إلى الإسلام ويقول له: «فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا» ... كلّ ذلك تجده صريحاً وهو الذي يدلّيك على إيمان أبي طالب عليه السلام وصدق معتقده في الله سبحانه، فبعد هذا ماذا يريد العتاة المردة، وأهل العناد والشقاق من أبي طالب، ألا تكون هذه المواقف دليلاً على إيمانه وصدقه ...؟! لكن لمن تنادي

---

(١) ينظر: المصادر التـاريخية التي ذكـرت هـذه الأبـيات والحـادثة وتـفصيلها: مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري: ٢ / ٦٢٢ـ٦٢٣، ط حيدر آباد الركن ١٣٣٨ هـ، وسيرة إبن هشام: ١ / ١١٥ و١ / ٣٣٣، ط مصر ١٢٩٥ هـ. وتاريخ إبن كثير: ٣ / ٧٧. وشرح إبن أبي الحديد: ٣ / ٣١٤.

وإنّ القوم قد مُلئت قلوبهم الظلمة الحالكة وبطونهم مُلئت بالسحت، فلا قلوب تعي، ولا اسماع صاغية، بل استحوذ عليهم الشيطان حتّى لجوا في العناد ....

خامساً: من مواقف أبي طالب الإيمانية
لمّا غاب النبيّ صلى الله عليه وآله ليوم وليلتها (قصّة الأسراء)

أجمعت الكتب التاريخية أنّ أبا طالب عليه السلام لمّا فقد النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة الأسراء جمع ولده ومواليه وسلّم إلى كلّ رجل منهم مُدية (سكّين) وأمرهم أن يباكروا الكعبة، فيجلس كلّ رجل منهم إلى جانب رجل من قريش ممّن كان يجلس بفناء الكعبة، وهم يومئذ سادات أهل البطحاء، فإن أصبح ولم يعرف للنبيّ صلى الله عليه وآله خبراً أو سمع فيه سوءاً، أومأ إليهم بقتل القوم، ففعلوا ذلك.

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المسجد ـ بيت الله الحرام ـ مع طلوع الشمس فلمّا رآه أبو طالب قام إليه مستبشراً فقبّل بين عينيه، وحمد الله عزّ وجلّ على سلامته، ثمّ قال: والله يا إبن أخي، لو تأخرّت عنّي لما تركت من هؤلاء عيناً تطرف، وأومأ إلى الجماعة الجلوس بفناء الكعبة من سادات قريش ذلك ثمّ قال لولده ومواليه: أخرجوا أيديكم من تحت ثيابكم، فلمّا رأت قريش ذلك انزعجت له،

ورجعت على أبي طالب بالعتب والإستعطاف، فلم يحفل بهم.[١]

قال الغفاري: وحادثة الإسراء والمعراج كانت في السنين الأولى من البعثة، وقبل وفاة أبي طالب عليه السلام بعدّة سنين، فافهم.

لم يزل الرسول صلى الله عليه وآله عزيزاً منيعاً سالماً ما كان أبو طالب حيّاً إلى جنبه، ولم يزل ممنوعاً من الأذى، معصوماً حتّى رحل إلى ربّه، حيث فرحت قريش وأجمع القوم علىٰ الفتك بالنبيّ صلى الله عليه وآله، حينها جاءه الوحي من ربّه، فقال له جبرئيل عليه السلام إنّ الله عزّ وجلّ يقرئك السلام، ويقول لك: أخرج من مكة فقد مات ناصرك.[٢]

فخرج هارباً تحت ظلام الليل مخلّفاً مكانه الإمام علي عليه السلام بدلاً منه على فراشه، فبات موقياً له نفسه ببذله مهجته شأنه كأبيه أبي طالب رحمه الله.

أقول: وروى المجلسي في البحار الحادثة بشكل مفصّل فراجع الجزء ٣٥/ ٨٢.

---

(١) الطبقات الكبرى لإبن سعد: ١/ ٣٠٢، دار بيروت للطباعة ١٩٨٥م. والحجة على الذاهب: ٢٨٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٠. والحجة على الذاهب: ٢٩٠. والدرجات الرفيعة للسيد علي خان: ٦٢.

سادساً: من مواقف أبي طالب عليه السلام الإيمانية (حديث السِلا)

جاءت الأخبار متواترة، أنّ قريشاً أمرت بعض السفهاء أن يلقي على ظهر النبيّ صلى الله عليه وآله سلا[١] الناقة إذا ركع في صلاته ففعلوا ذلك، وبلغ الحديث أبا طالب عليه السلام فخرج مغضباً ومعه عبيدٌ له، فأمرهم أن يلقوا السلا عن ظهره صلى الله عليه وآله ويغسلوه، ثمّ أمرهم أن يأخذوه فيمرّوه على سبال القوم[٢] وهم إذ ذاك وجوه قريش، وحلف بالله أن لا يبرح حتّى يفعلوا بهم ذاك، فما امتنع أحد عن طاعته، وأذلّ جماعتهم بذلك وأخزاهم.[٣]

وجاءت هذه الرواية بشكل مفصّل في أغلب كتب السير، وكان الذي تولّى أذيّة الرسول والإعتداء عليه هو عبدالله بن الزبعري حيث ألقى الفرث والدم على النبيّ وهو ساجد يصلّي.

وكان موقف أبي طالب عليه السلام من هذا الحدث ليس له مثيل حيث جرّد سيفه يهدّد به زعماء قريش.

عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يقول: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من قريش، وقد نحروا جزوراً، وكانوا يسمّونها

---

(١) السلا: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمّه ملفوفاً وهو وعاء الروث من الأغنام.

(٢) السبال: جمع السَبَلَة وهوالشارب.

(٣) تفسير القرطبي: ٦ / ٤٠٥، وإيمان أبي طالب عليه السلام للمفيد: ص ٢٢. والكافي: ١ / ٣٧٣.

الظهيرة، ويذبحونها على النصب، فلم يسلّم عليهم، فلمّا انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمرّ بنا يتيم أبي طالب فلا يسلّم علينا، فأيّكم يأتيه فيفسد عليه مصلّاه؟

فقال عبدالله بن الزبعري السّهمي: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فانتهىٰ به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو ساجد فملأ به ثيابه ومظاهره، فانصرف النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى أتى عمّه أبا طالب، فقال: يا عمّ مَن أنا؟

فقال: ولم يا إبن أخي؟

فقصّ عليه القصّة، فقال: وأين تركتهم؟

فقال: بالأبطح فنادى في قوله: يا آل عبد المطلب، يا آل هاشم، يا آل عبد مناف فأقبلوا إليه من كلّ مكان ملبّين، فقال: كم أنتم؟

قالوا: نحن الأربعون.

قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم، وانطلق بهم، حتّى انتهى إلى أولئك النفر، فلمّا رأوه أرادوا أن يتفرّقوا فقال لهم: وربّ هذه البنية لا يقومنّ منكم أحد إلّا جلّلته بالسيف، ثمّ أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتّى قطعها ثلاثة أفهار، ثمّ قال: يا محمّد سألتني من أنت، ثم أنشأ يقول ويؤمي بيده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله.

أنتَ النبيُّ محمّدُ ... قَرْمٌ أعَزَّ مسوَّدُ

لمسوّدين أطائبٍ ... كرموا وطاب المولدُ

نعم الأرومة أصلُها ... عمروالخِضَمّ الأوحدُ

إلى آخر الأبيات.[١]

ثمّ قال: يا محمّد أيّهم الفاعل بك؟

فأشار النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن الزبعري السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتّى أدماها، ثمّ أمر بالفرث والدم، فأمرّ علىٰ رؤوس الملأ كلّهم، ثمّ قال: يا ابن أخِ أرضيت؟

ثمّ قال: سألتني من أنت؟

أنت محمّد بن عبد الله، ثمّ نسبه إلى آدم عليه السلام، ثمّ قال: أنت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً، يا معشر قريش من شاء منكم أن يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفوني.

إلى هنا تنتهي قصّة إبن الزبعرى، غير أنّ البعض ذيّلها بنزول الآية ٢٥ و٢٦ من سورة الأنعام وقال أنّها نزلت في أبي طالب عليه السلام، ويتضح كذب الراوي حيث أنّ سورة الأنعام مدنية نزلت بعد وفاة أبي طالب بسنين، وقد عقد الشيخ الأميني رحمه الله فصلاً في الغدير ٨/ ٣ يؤكّد بطلان ما قيل.

أمّا حديث السلا المتقدّم ففيه عدّة دلالات منها:

١ ـ يبيّن لنا الحديث زعامة أبي طالب ورئاسته على الجماعة، ومنزلته وعظم قدره، وكونه سيّدهم المطاع، الذي يهابه الجميع، وأمره نافذ عليهم.

٢ ـ إعلانه بكلّ جرأة وصراحة أنّه الناصر والمحامي والمدافع لإبن

---

(١) ينظر: شرح النهج لإبن أبي الحديد: ١٤/ ٧٧. والدرجات الرفيعة: ص ٥٣.

أخيه محمّد صلى الله عليه وآله.

٣ـ شدّة فزعه لِما سمعه في شأن النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وتعدّي إبن الزبعرى علىٰ ساحة قدسه صلى الله عليه وآله.

٤ـ غضبه لله سبحانه ودفاعاً لدينه الحنيف.

٥ـ لقد تكرّر من أبي طالب مواقف لها شبه بما تقدّم من قصّة إبن الزبعرى، وذلك لمّا فقد محمّداً صلى الله عليه وآله ـ لمّا عُرِج به إلى السَماء ـ نهار يومه وعشيتها، فأمر رجالاً من بني هاشم أن يحملوا معهم السكاكين ليفتكوا بزعماء قريش إن كان صدر منهم سوءٌ في حقّ النبيّ (محمّد). وهكذا قصّته مع فتية من قريش لمّا فقؤوا عين عثمان بن مظعون.

أقول: لولا كتمان دينه من قريش لما إستطاع أن يذبّ عن حمىٰ الإسلام وصاحب الرسالة الغرّاء.

ثمّ لولا تلك المنزلة التي كان يتمتع بها لما إستطاع أن يحمي الرسول صلى الله عليه وآله، ويقف معه تلك المواقف المشرّفة، ويدرء عنه أذاهم.

إذاً من الحكمة والحنكة أن يخفي أبو طالب إسلامه وأن يكتم إيمانه، حفاظاً علىٰ إبن أخيه الصادق الأمين صلى الله عليه وآله.

ثمّ ما قيمة الألفاظ بالنسبة إلى أبي طالب والرسول يكون في معرض الخطر والقتل؟! هذا هوالطريق الأوّل.

وأمّا الطريق الثاني: هوأن يعلن أبو طالب للملأ من قريش عن إسلامه ويصارحهم علىٰ ما انطوت عليه سريرته... وبهذا الإعلان كما عرفت أن قريش سوف تتنصّل عن أبي طالب، وتتركه في حلبة الصراع وحيداً، وتتنكر لزعامته، وبهذا سوف تحمل على النبيّ ومن

تابعه حملة رجل واحد وتقضي عليه بين عشية وضحاها....

وهذا أمر لا يقبله العاقل اللبيب، والحليم النبه...، إذاً من هنا عرفت سبب كتمان أبي طالب إيمانه علىٰ الصعيد الرسمي، وأمّا على الصعيد الواقع وما إنطوى عليه قلبه فهوالمسلم المؤمن شأنه كمؤمن آل فرعون....

وفي القرآن الكريم عدّة نماذج ممّن كتم إيمانه كي يقوم بدور رسالي في صفوف الناس، ويكون درعاً واقياً للنبيّ المبعوث... سوف نذكر بعضها، فتابع الفصول القادمة.

سابعاً: من مواقف أبي طالب عليه السلام الإيمانية

(حديث الصحيفة)

لمّا علمت قريش أنّ أبا طالب عليه السلام لا يتخلّىٰ عن نصرة محمّد صلى الله عليه وآله ولا يسلّمه إليهم، ورأوا قيام بني هاشم معه في نصره سعوا بينهم، واجتمعوا، وقالوا نكتب صحيفة نودعها الكعبة، فتعاقدت قريش على أن لا تبايع أحداً من بني هاشم ولا تناكحهم، ولا تعاملهم حتّى يدفعوا إليهم محمّداً ليقتلوه، وكتبت الصحيفة وختمت بثمانين خاتماً، وكان الذي كتب الصحيفة منصور[1] بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وعلّقت في الكعبة وحاصرت

---

(١) وقيل: بغيض.

قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته من بني هاشم، وبني عبد المطلب بن عبد مناف في الشعب الذي يقال له شعب بني هاشم بعد ستّ سنين من مبعثه. فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب ثلاث سنين حتّى انفق رسول الله ماله، وانفق أبو طالب، وانفقت خديجة بنت خويلد جميع مالها، وصاروا إلى حدّ الضرّ والفاقة ثمّ نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّ الله قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها إسماً هو لله إلّا اثبتته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان. فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عمّه أبا طالب عليه السلام بذلك، فقال: أربّك أخبرك بهذا؟

قال: نعم، فوالله ما يدخل عليك أحد، ثمّ خرج إلى قريش قال: يا معشر قريش، إنّ إبن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلمّوا إلى صحيفتكم، فإن كان كما قال إبن أخي، فانتهوا عن قطيعتنا وأنزلوا عمّا فيها، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم إبن أخي.

فقال القوم: رضينا، فتعاقدوا علىٰ ذلك ثمّ نظروا فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما تدع الأرضة إلّا مواضع (بسمك اللهم) فقالت قريش: ما هذا إلّا سحر وما كنّا قطّ أجد في تكذيبه منّا ساعتنا هذه، وخرج بنو هاشم من الشِّعب وانتهى الحصار الذي دام ثلاث سنوات.[1]

---

(١) وللمزيد راجع تاريخ اليعقوبي: ١ / ٣٥١، مؤسسة الأعلمي بيروت، ١٤١٣هـ. وسيرة إبن هشام: ١ / ٣٧٤، وطبقات إبن سعد.

لمّا علم أبو طالب موقف قريش وأنّ صحيفتهم تلك كانت ظلماً وعدواناً فقد أخذ يستعطفهم ويحذّرهم الحرب وقطيعة الرحم، وينهاهم عن إتّباع السفهاء، ويُعلِمَهم إستمراره علىٰ موآزرة النبيّ صلى الله عليه وآله وينّبههم علىٰ فضله ومنزلته، ويضرب لهم المثل بناقة صالح ويذكر أمر الصحيفة.

ولمّا خرج أبو طالب عليه السلام وبني هاشم من الشِّعب، دخلوا بين إستار الكعبة والكعبة فقال أبو طالب: «**اللّهم انصرنا علىٰ من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحلّ منّا، ثمّ انصرفوا**».

أقول: علىٰ المنصف الغيور؛ علىٰ من رضع من لبان الطهر والإيمان ،أقول له: ماذا تفهم من قول أبي طالب: «اللّهم انصرنا علىٰ من ظلمنا ...»؟ فهل يقال لمثل هذا المدافع الحامي عن الدين وصاحب الرسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: إنّه مات كافراً؟!

وتبعاً لهذا الموقف جاءت قصيدته البائية التي قالها في أمر الصحيفة وحين تظاهرت قريش علىٰ الرسول صلى الله عليه وآله:

١ـ ألا أبــلِغا عــنّي عـلىٰ ذاتِ بـينها
لُــؤياً وخُــصّا مِـنْ لؤي بـني كَـعْبِ

٢ـ ألَم تَــعلَمُوا أنــا وَجَــدْنا مُحـمّداً
نـبيّاً كـموسىٰ خُـطّ في أوّلِ الكُـتُبِ[1]

---

(١) في شرح إبن أبي الحديد: (رسولاً) بدل (نبيّاً) أنظر: ١٤ / ٧٢.

٣ـ وأنّ عَـــليهِ في العِـــباد مَحَـبَّةً
ولا حيفَ فـيمن خَـصَّهُ اللهُ بـالحُبِّ[١]

٤ـ .أنَّ الذي لفَّـــقْتُم في كـــتابِكُم
يكون لكم يـوماً كـراغـية السَـقب[٢]

٥ـ أفيقُوا، أفيقُوا قـبلَ أن تُحـفر الزبىٰ
ويُصبح مَنْ لَم يَجْنِ ذَنباً كذي الذَنبِ[٣]

٦ـ ولا تَـتَبعوا أمْـرَ الغُـواةِ وتَـقْطَعُوا
أواصرنـــا بـــعدَ المـــودّةِ والقُـــرْبِ

٧ـ وتَسْـتَحلِبُوا حَـرْبا عَـوانـا ورُبّمـا
أمُرُّ عـلى مَـنْ ذَاقَـهُ جَـلَبُ الحَـرْبِ[٤]

٨ـ فَـــلَسْنا وبـــيت الله نُسْـلِمُ أحمـداً
لعـــزاء مِـن عَـضّ الزَمـان ولا كـرْبِ

---

(١) الحيف: الجور والظلم.

(٢) السقب: ولد الناقة. والمراد به: سقب ناقة صالح عليه السلام الذي رغـا ـأي صـاح ـ ثلاث رغوات بعد عقر أمّه، وأهلك الله ثمود، وضرب به المثل.

(٣) الزُبى: بضمّ الزاء وفتح الباء المعجمتين. جمع الزبية، وهي الرابية التي لا يعلوها ماء، ويُروى: الربىٰ بالراء المهملة، والمعنى واحد.

(٤) الإستحلاب: طلب الحليب، استعير هنا لثوران الفتن طلباً للحرب. والحرب العوان أشدّ الحروب. والحلب بالتحريك اللبن المحلوب. أراد به ما يترتّب علىٰ الحرب من الخسائر.

٩ـ ولما تَبِنْ مِنّا ومنكم سَوالفٌ
وأيدٍ أُبيرت بالمهندة الشُّهبِ[١]
١٠ـ بمُعتَرك ضَنْكٍ تَرى كِسَر القنا
بهِ والضباع العرج تعكِفُ كالسرب[٢]
١١ـ كأنَّ مَجالَ الخليلِ في حَجَراته
وغمغمة الأبطالِ مَعْركةُ الحَرْبِ[٣]
١٢ـ أ ليسَ أبُونا هاشمٌ شَدَّ أزرَهُ
وأوصىٰ بنيهِ بالطِّعانِ وبالضَربِ[٤]
١٣ـ ولسنا نَمَلُّ الحربَ حتّى تَمَلَّنا
ولا نشتكي مما ينوب من النكب
١٤ـ ولكنّناأهل الحفائِظِ والنُهىٰ
إذا طارَ أرواحُ الكُماةِ من الرُعب[٥]

---

(١) في شرح إبن أبي الحديد: (أترت) بدلَ (ابيرت). وأثرت: قطعت.

(٢) العرج: هي الضباع، فهوبدل ممّا قبله. السرب: جمع السربة وهي القطيع والجماعة من الظباء والخيل ونحوه. ويروى (كالشرب) بدل (السرب) جمع الشارب.

(٣) الغمغمة: صوت الإبطال عند القتال.

(٤) الأزر، بكسر الهمزة وسكون الزاي: المئزر والإزار. يقال: شدّ للأمر إزره إذا تشمر له.

(٥) تجد هذه الأبيات كلّها أو بعضها في المصادر الآتية:
ـ سيرة إبن هشام: ١/ ٣١٩، طبعة مصر ١٣٠٥هـ و١/ ٣٥٣.
ـ شرح إبن أبي الحديد: ١٤/ ٧٢.

مصادر القصيدة: سيرة إبن هشام: ١/ ٣٧٧، وسيرة إبن إسحاق: ١٥٧، الروض الأنف: ٢/ ١٠٢، وشرح النهج لإبن أبي الحديد: ١٤/ ٧٢، والبداية والنهاية: ٣/ ٨٤، وخزانة الأدب: ٢/ ٧٦.

أنظر إلى قوله في البيت الثاني: «...أنا وجدنا محمّداً نبيّاً...» أنّه الإقرار الصريح والإعلان بكلّ جرأة بأن محمّداً نبيّ كموسىٰ عليه السلام خطّ في أوّل الكتب، سواء الكتب السماوية النازلة من السماء أو أنّه في اللوح المحفوظ.

فلو لم يكن في شعر أبي طالب سوى هذا البيت لكفى دليلاً على إيمان أبي طالب عليه السلام، ونحن نستخلص إيمانه من هذا البيت من وجوهٍ:

١ ـ إيمانه بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله.

٢ ـ إيمانه بكتب الله تعالى التي لا يعرفها إلّا المؤمنون.

٣ ـ معرفته بالنبيّ موسىٰ بن عمران عليه السلام.

٤ ـ إيمانه بسائر الأنبياء وكتبهم، حيث بين أوّل نبيّ وأوّل كتاب هناك كتب وأنبياء حتّى ينتهي الأمر إلىٰ خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله.

٥ ـ كلامه (أ لم تعلموا)، يراد به التوبيخ لقريش، وبالخصوص زعماءهم الذين كانوا علىٰ علم ويقين ببعثة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله من خلال

ـ الروض الأنف: ١/ ٢٢٠.

ـ تاريخ إبن كثير: ٣/ ٨٧.

ـ بلوغ الأدب للألوسي: ص ٣٢٥، طبعة مصر ١٣٤٢هـ.

ـ خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي: ١/ ٢٦١، طبعة مصر ١٢٩٩هـ.

الأخبار التي وصلتهم عن طريق عبد المطلب وأخبار اليهود ومن له أدنى مطالعة في الكتب السماوية السابقة.

٦ـ تشعرك باقي الأبيات أنّ أبا طالب ساق التهديد لقريش وحذّرهم مغبّة عنادهم وكفرهم، وأكّد لهم أنّه مع محمّد صلى الله عليه وآله في نصرته له، والذب عنه حتّى آخر لحظة من حياته....

ومما قاله في شأن الصحيفة:

ألا مَن لِهَمٍّ آخِرِ الليلِ مُنصِبِ
وشعبُ العصا من قومِك المتشعّبِ
وجَربَى أراها مِن لُؤيّ بن غالبٍ
مَتى ما تُزاحِمْها الصحيحةُ تَجْرَبِ
إذا قائمٌ في القومِ قامَ بخُطبَةٍ
أقاموا جميعاً ثمّ صاحُوا وأجلَبوا[1]
وما ذنبُ مَن يدعو إلىٰ الله وحدَهُ
ودينٍ قويمٍ أهلُهُ غيرُ خُيَّبِ
وما ظُلمُ مَن يَدعُو إلى البرِّ والتُّقىٰ
ورأبِ الثَّأىٰ بالرأي لا حين مشعبِ[2]

---

(١) في البيت إقواءٌ.

(٢) الثأىٰ: أثر الجرح، ورأبُ الثأىٰ: إصلاح الفاسد من الأمور.

وقد جَرَّبوا فيما مضى غِبَّ أمرِهم
وما عالِمٌ أمراً كَمَن لَمْ يُجرِّبِ[١]

وقد كان في أمر الصَحيفةِ عبرةٌ
أتاك بها من غائبٍ مُتعصّبِ

يُريد الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، وعلّقوها في الكعبة، فمحا الله منها موضع عُقوقهم.

محا الله منها كُفرَهم وعُقوقَهم
وما نَقِموا من صادقِ القول مُنْجِبِ

وأصبَحَ ما قالوا مِن الأمرِ باطلاً
ومن يختلِقْ ما ليس بالحقّ يكذبِ

فأمسىٰ إبن عبد الله فينا مُصَدَّقاً
على ساخِطٍ من قومِنا غير مُعْتَبِ

فلا تحسَبونا خاذِلينَ محمّداً
لذي غُربةٍ منّا ولا مُتَقَرِّبِ

سَتَمنَعُهُ منّا يدٌ هاشِميّةٌ
مُرَكّبُها في المَجْدِ خيرُ مُرَكّبِ

وينصرُه اللهُ الذي هو ربُّهُ
بأهل العُقَيْرِ أو بِسُكّانِ يثْرِبِ[٢]

---

(١) الغِبّ: العاقبة.

(٢) العقير: مدينة في البحرين.

فــلا والذي يَحــدِي له كُــلُّ مُــرْثَمٍ
طــليح بجــنبَي نخــلَةٍ فــالمُحَصَّبِ[1]
يمــيناً صَــدَقنا اللهَ فــيها ولم نَكُــنْ
لِــنَحْلِفَ بــطلاً بــالعتيق المُحَــجَّبِ
نُــفارِقُه حــتّى نُــصَرَّعَ حَــولَهُ
ومــا نــالَ تكــذيب النبيّ المُقَرَّبِ
فــيا قــومنا لا تــظلِمُونا فــإننا
متى ما نخلف ظُلْمَ العشيرة نِغضَبِ
وكــفُّوا إليكــم مــن فُضولِ حُــلُومِكُم
ولا تذهَبُوا مــن رأيكــم كُــلَّ مَــذْهبِ
ولا تــبدأونا بــالظلّامَةِ والأذى
فــنجزيَكُم ضِــعفاً مــع الأمّ والأبِ

مصادر القصيدة: سيرة إبن إسحاق: ١٦٣، والكامل في التاريخ: ٢/ ٩٠.

وقال ـ أيضاً ـ القصيدة الدالّية حين مُزّقت الصحيفة وبطل ما فيها وقد روىٰ السهيلى أحد عشر بيتاً لم ترد في رواية أبي هِفّان وهي منها:

ألا هل أتى بَحْرِيّنا صُنعَ ربّنا على نأيهم والله بالناس أرودُ
فيخبرهم أنّ الصحيفة مُزّقت وأنّ كلّ ما لم يرضه الله مفسدُ

---

(١) رَثَمَ أنفَهُ: إذا كسره حتّى تقطّر منه الدم. الطليح: البعير إذا تعِب وكلّ.

تداعى لها مَن ليس فيها بقرقرٍ فـطائرها في رأسهـا يـتردّدُ
وكـانت كـفاء رقـعة بأثـيمةٍ ليُـقطع مـنها سـاعدٌ ومـقلّدُ

ومن القصيدة قوله:

ألا إنّ خـيرَ النـاسِ نـفساً ووالداً
إذا عُـدّ سـاداتُ البريـةِ أحمَـدُ
نـبيّ الإله والكـريمُ بأصـلهِ
وأخـلاقِه وهـو الرشـيد المـؤيَّدُ
حَـزيم عـلى جُـلّ الأمـورِ كأنّـه
شِهـابٌ بكـفّي قـابِسٍ يَـتوقّدُ(١)
من الأمِـينَ مـن لُـؤيّ بـن غـالبٍ
إذا سِـيمَ خسـفاً وجـهُهُ يـتربّدُ(٢)
طويل النِجاد خـارجٌ نـصفُ سـاقِهِ
على وَجهِهِ يسق الغَمام ويسـعدُ(٣)
عـظيمُ الرَمـادِ سيّدٌ وابـنُ سيّدٍ
يُحضُّ على مَقْرَى الضُيوفِ ويحشّـدُ
ويـبني لأفـناء العشـيرة صـالحاً
إذا نحنُ طُـفنا في البـلاد ويمْـهَدُ(٤)

---

(١) حَزيم: أي حازماً.
(٢) التربّد: إحمرار الوجه في تورّم.
(٣) النجاد: حمائل السيف.
(٤) يمهَد: يضع، والمهد والمهاد: الأرض والفِراش.

ويبني كثيراً حيث كان من العِدى
طِلاع المدى لا غير ذلك يجهد[١]
هو القائل المهدي به كُلُّ مِنْسَرٍ
عظيم اللواء، أمرُه الدَهرُ يحمدُ[٢]
إذا قال قولاً لا يُعاد لقولهِ
كوحي الكتاب في صفيحٍ يُخلَّدُ
بجيشٍ لَهُ من هاشمٍ يتبعونَه
يُسَدِّدُهُم رَبُّ الوَرى ويُؤيِّدُ
هُمُ رجعوا سَهل بن بيضاء راضياً
وسُرَّ إمامُ العالَمينَ محمّدُ[٣]

مصادر القصيدة: سيرة إبن إسحاق: ١٦٧، ط ١، دار الفكر ١٩٧٨م. وسيرة إبن هشام: ٢/ ١٧، والروض الأنف: ٢/ ١٢٤، مؤسسة مختار ومكتبة الكليّات الأزهريّة، القاهرة.

هذه الدالّية تُعدّ من أبرز قصائد أبي طالب عليه السلام وهي تفصح عن عقيدته الصادقة بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وبالإسلام والتوحيد حيث قال:

إنّ أحمد هو خير الناس، وهو سيّد كلّ الورى، (سادات البريّة).

ثمّ قال: نبيّ الإله....

---

(١) يقال: حلب القعب طلاعاً: أي اعتلى على ملئه، ويُروىٰ طلاقاً: أي مُنطلِق الوَجه.

(٢) المِنسر: الجيش.

(٣) سَهل بن بيضاء الأنصاري.

فهل يوجد تصريح فوق هذا التصريح أو عبارة أخرىٰ أقرب صدق من تلك.... فلولم يكن في شعر أبي طالب أي تصريح غير هذا لكفىٰ دليلاً علىٰ إيمانه بالله وبالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، ومع ذلك تجد عشرات الكلمات والعبارات التي أطلقها أبو طالب وهو ملؤه فخراً وسروراً بهذا الإيمان وبتلك العقيدة الصلبة التي لم يفارقها حتّى النفس الأخير.

ثمّ يعقب علىٰ قوله ذاك بالبيت الآتي:

بجيش له من هاشم يـتبعونه يُسدِّدُهم ربُّ الورىٰ ويؤيّد

أنظر إلى هذه العقيدة التي ملأت قلب قائلها، أنّه أبو طالب الموحّد الذي كلّه ثقة بالله سبحانه، فهو الذي يسدّد نبيّه وينصره ويؤيّده، وهذا كلام لا يصدر إلّا من موحّد ثابت علىٰ التوحيد، صادق في إيمانه....

ثامناً: وصيّة أبي طالب لوجوه قريش لمّا حضرته الوفاة

قال إبن الفتال النيسابوري بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: لمّا حضرت أبا طالب عليه السلام الوفاة جمع وجوه قريش فأوصاهم، فقال:

يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، وأنتم خزنة الله في أرضه، وأهل حرمه، فيكم السيّد المطاع الطويل الذراع، وفيكم المقدّم الشجاع، الواسع الباع.

إعلموا أنّكم لم تتركوا للعرب في المفاخرة نصيباً إلّا حزتموه، ولا شرفاً إلّا أدركتموه، فلكم على الناس بذلك الفضيلة، ولهم به إليكم

الوسيلة، والناس لكم حربٌ، وعلىٰ حربكم إلْبٌ. إنّي موصيكم بوصية، فاحفظوها: أوصيكم بتعظيم هذه البنيّة؛ فإنّ فيها مرضاة الربّ، وقواماً للمعاش، وثبوتاً للوطأة، وصِلوا أرحامكم؛ ففي صلتها منسأةٌ في الأجل، وزيادة في العدد، وأتركوا العقوق والبغي؛ ففيهما هلكت القرون قبلكم. أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل؛ فإنّ فيهما شرفاً للحياة والممات، عليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة؛ فإنّ فيهما نفياً للتهمة، وجلالة في الأعيُن، أقِلّوا الخلاف على الناس، وتفضّلوا عليهم بالمعروف؛ فإنّ فيهما محبّة للخاصّة، ومكرمةً للعامّة، وقوّة لأهل البيت.

وإنّي أوصيكم بمحمّدٍ خيراً؛ فإنّه الأمين في قريش، والصدّيق في العرب، وهو جامعٌ لهذه الخصال التي أوصيكم بها، وقد جاءكم بأمرٍ قَبِلهُ الجَنانُ، وأنكره اللسانُ، مخافة الشنآن، وأيم الله لكأنّي أنظر إلىٰ صعاليك العرب، وأهل العزّ في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، وعظّموا أمره؛ فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤوس قريش وصناديدها أذناباً، ودورُها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمُهم عليه أحوجُهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم لديه، قد محّضته العرب ودادَها، وصَفتْ له بلادُها، وأعطته قيادَها.

فدونكم يا معشرَ قريش ابنَ أبيكم وأمّكم، كونوا له ولاةً، ولحزبه حماةً. والله لا يسلك أحدٌ سبيله إلّا رَشدَ، ولا يأخذ أحدٌ بهديه إلّا سَعِدَ، ولو كان لنفسي مدّةٌ، وفي أجلي تأخير لكفيتُه الكوافي، ولدفعت

عنه الدواهي، غير أنّي أشهد شهادته، وأعظّمُ مقالتَه.[١]

تجد كلّ فقرة من فقرات هذه الوصيّة تدلّل على إيمان أبي طالب بالله، وتوحيده له، وإيمانه بالرسول صلى الله عليه وآله، ودعوته الحقّ، ولا يغيب عنك حيث ختم أبو طالب كلامه ووصيته بقوله: أنّي أشهد شهادته وأعظّم مقالته...، فما هي الشهادة التي يريدها أبو طالب ألا هي شهادة أن لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله...! انتبه وتأمّل.

أبو طالب عليه السلام راوية النبيّ صلى الله عليه وآله

أبو طالب عليه السلام يصدّق دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله

روى أبو الفضل شاذان عن الكراجكي بإسناده عن إسحاق بن عيسىٰ بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: سمعت أبي يقول: سمعت المهاجر مولى بني نوفل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب بن عبد المطلب يقول: حدّثني محمّد صلى الله عليه وآله أنّ ربّه بعثه بصلة الرحم، وأن يعبد الله وحده، ولا يعبد معه غيره. ومحمّد عندي الصادق الأمين.[٢]

---

(١) روضة الواعظين للشهيد إبن الفتال النيسابوري (ت ٥٦٨ هـ): ١/ ٣٢١، طبعة دليل ما، قم ١٤٢٣ هـ. والروض الأنف في شرح السيرة النبوية للسهيلي عبد الرحمن: ج ٤/ ٣٠ـ ٣١، طبعة مكتبة إبن تيمية القاهرة ١٩٩٣م.

(٢) رواه إبن حجر العسقلاني الشافعي في الاصابة: ٤/ ١١٦، ط مصر ١٣٢٨ هـ، وزيني دحلان في أسنى المطالب: ص ٦، ط مصر ١٣٠٥ هـ. والغدير: ٧/ ٣٦٨.

من أقوى الحجج هو إقرار المرء، وكما قيل أنّ إقرار العقلاء علىٰ أنفسهم جائز؛ حجة.

والرواية المتقدّمة جاء في ذيلها قول أبي طالب إعترافاً منه وتحقيقاً لمقولته فقال: «ومحمّد عندي الصادق الأمين».

فأي تصريح بعد هذا يستدلّ به الباحث الغيور؟ أ لم تكن هذه العبارة هي الحجة الدافعة علىٰ إيمان أبي طالب؟!

أبو طالب عليه السلام يؤكّد صدق النبيّ صلى الله عليه وآله في نبوّته أمام قريش

روى النسابة الثقة أبو منصور الحسن بن معية العلوي الحسني من مشايخ النسابة فخار بن معد الموسوي المتوفّىٰ سنة ٦٣٠هـ بإسناده عن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: قال أبو طالب للنبيّ صلى الله عليه وآله بمحضر من قريش ليريهم فضله: يا ابن أخي: الله أرسلك؟

قال: نعم.

قال: إنّ للأنبياء معجزاً، وخرق عادة، فأرنا آية.

قال صلى الله عليه وآله لعمّه: أدع تلك الشجرة، وقل لها: يقول لك محمّد بن عبد الله أقبلي بإذن الله، فدعاها، فأقبلت حتّى سجدت بين يديه، ثمّ أمرها بالإنصراف، فانصرفت.

فقال أبو طالب: أشهد أنّك صادق، ثمّ قال لإبنه علي عليه السلام: يا بني

الزم إبن عمّك.[١]

قال الغفاري: حسبك هذه الشهادة في صدق إيمان أبي طالب وكفىٰ!

أمّا مرويات أبي طالب عليه السلام

أقول: لا يسعنا المجال أن نبحث مروّيات أبي طالب، وما سمعه من النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله لأسباب عديدة، فضاع الكثير منها، مع أنّه أوّل صحابي وأقرب الناس له صلى الله عليه وآله، لقد عسفت الأيدي الحاقده والنفوس المريضة من آل أميّة وآل أبي سفيان فحجبت عنّا تلك الأحاديث التي سمعها أبو طالب والتي رواها... ومع ذلك نذكر ما عثرنا عليه ونحن نوجز البحث هنا آملين العودة والتفصيل في فرصة أخرىٰ إن شاء الله.

روى أبو طالب عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: سمعت إبن أخي الأمين يقول: «أشكر ترزق، ولا تكفر فتعذّب».

رواه إبراهيم بن علي الحنبلي في كتابه (نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول).[٢]

وفي كتاب الحنبلي روايات عديدة تؤكّد إيمان أبي طالب فليراجع.

قال العسقلاني في الأصابة، ومن طريق إسحاق بن عيسىٰ الهاشمي

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٦٥، رواه عن طريق الأعمش، وروضة الواعظين لأبي علي الفتال: ١٢١.

(٢) الطرائف لإبن طاووس: ص ٣٠٤، وينظر البحار: ٣٥/ ١٥١.

عن أبيه سمعت المهاجر مولىٰ بني نفيل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول: سمعت إبن أخي محمّد بن عبد الله يقول: إنّ ربّه بعثه بصلة الأرحام، وأن يعبد الله وحده لا يعبد معه غيره، ومحمّد الصدوق الأمين.

وفي رواية السيد زيني دحلان كذلك (ومحمّد عندي الصدوق الأمين).[١]

أقول: في روايات عديدة رواها الجمهور أنّ أبا طالب في مناسبات مختلفة وصف إبن أخيه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بكلمة صادق، وصدوق وما شابه ذلك.

وهذه ـ كلمة صدوق ـ علىٰ وزن فعول أي كثير الصدق، وفي بعض أشعاره جاءت وأنت الصادق الأمين....

وفي نهاية الطالب للحافظ العلامة الحنبلي بإسناده عن أبي طالب قال: حدّثني محمّد بن أخي وكان والله صادقاً.

قال أبو طالب عليه السلام: قلت له: بِم بعثت يا محمّد؟

قال صلى الله عليه وآله: بصلة الأرحام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.[٢]

وعن عروة بن عمرو الثقفي قال: سمعت أبا طالب قال: سمعت إبن أخي الأمين يقول: أشكر تُرزق، ولا تكفر فتعذّب.

الحديث المتقدّم، وقد ورد في مصادرنا الحديثية كالبحار وغيره

---

(١) أسنى المطالب: ٦.

(٢) نهاية الطالب برواية المجلسي في البحار: ٣٥ / ١٥١

فراجع.

الفصل الثالث

آيات يستدلّ بها على إيمان أبي طالب عليه السلام

وأمّا الآيات التي تؤكّد إيمان أبي طالب عليه السلام وأنّه من أبرز مصاديقها، فإليك بعضها:

أوّلاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا...﴾.[1]

سورة الأنفال بالإتفاق عند الجميع، مدنية عن إبن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكة، وهي قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

وقيل: نزلت بأسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة. والآية التي نحن في صددها قيل: نزلت في الميراث، وكانوا يتوارثون بالهجرة، فجعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار، دون ذوي الأرحام، وكان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث؛ من أجل أنّه لم يهاجر، ولم ينصر، كانوا يعملون بذلك حتّى أنزل الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

بِبَعْضٍ﴾[١] فصار الميراث لذوي الأرحام المؤمنين، ولا يتوارث أهل ملّتين من خلال الآية الكريمة المتقدّمة. نفهم أنّ من صفات المؤمنين الذين وصفهم الله سبحانه في هذه الآية إنّما ذكرهم سبحانه هنا هو تعقيب لما سبق من قوله سبحانه: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[٢]

ولمّا كان قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يحتاج إلى بيان فجاءت الآية ٧٢ في صدد بيان الصفات التي تؤدّي إلىٰ أن يكون بعضهم أولياء بعض، فالذين آمنوا قد امتثلوا أوامر الله والرسول في الهجرة؛ إنّهم هاجروا من مكة إلى المدينة، هذا أوّلاً.

وهم كذلك امتثلوا قول الله والرسول في جهاد العدوّ، فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، هذا ثانياً.

وهم آووا الرسول والمسلمين الأوائل، هذا ثالثاً.

وهم نصروا النبيّ صلى الله عليه وآله والثبات على الدين، هذا رابعاً.

هذه صفات أربعة مهمة تحلّى بها أولئك القوم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وقطعاً هذه الآيات، بل كلّ هذه السورة ـ الأنفال ـ قد نزلت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام.

ولو كان أبو طالب حيّاً لما عكف عن هذه الأوامر بل لرأيناه

---

(١) سورة الأنفال: ٧٥.

(٢) سورة الأنفال: ١.

السبّاق إليها، وذلك لسيرته السابقة، ونصرته للرسول منذ بدء الدعوة الإسلامية....

نعم لا يخلو المقام من الإستشهاد بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[1] حيث لا عبرة بخصوص السبب بل العبرة بعموم اللفظ، فيكون أبو طالب من أبرز مصاديق هذه الآية، فتدبّر.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْ وَانَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.[2]

بيّنا في الآية ٧٢ أنّ الله سبحانه جعل أولئك المؤمنين بعضهم أولياء بعضٍ، إذاً هي من باب التواصل فيما بين المؤمنين والتأكيد على موالاة بعضهم بعضاً في الميراث، بل في الجوانب الحياتية الأخرى كالنصرة والدفاع عن بيضة المسلمين وثغورهم....

وفي هذه الآية الكريمة ـ ٧٤ ـ جاء التأكيد على أولئك المؤمنين بأنّ لهم مغفرة ورزقاً كريماً. وهذا ينطبق على أبي طالب عليه السلام فهو من أبرز مصاديق هذه الآية، لما صدر منه من إيوائه للنبيّ في مكة، ونصرته له، والذب عنه وعن حمىٰ الإسلام.

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

(٢) سورة الأنفال: ٧٤.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.[1]

ذكر السيوطي أحاديث كثيرة في تفسيره الآيتين، ثمّ خصّ الآية ٢١٩ بعدّة روايات منها قال: وأخرج إبن أبي عمر العرني في مسنده، والبزار وإبن أبي حاتم، والطبراني، وإبن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن مجاهد في قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾. قال: من نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجت نبيّاً.

وأخرج إبن أبي خاتم وإبن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن إبن عباس في قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: مازال النبيّ صلى الله عليه وآله يتقلّب في أصلاب الأنبياء حتّى ولدته أمّه.

وأخرج إبن مردويه عن إبن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: بأبي أنت وأمّي أين كنت وآدم في الجنّة؟

فتبسّم حتّى بدت نواجذه ثمّ قال: إنّي كنت في صلبه، وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم، ولم يلتق أبواي قطّ على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفّى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلّا كنت في خيرهما.

قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام هداني، وبيّن في التوراة والإنجيل ذكري، وبيّن كلّ شيء من صفتي في شرق الأرض وغربها، وعلّمني كتابه، ورقي بي في سمائه، وشقّ لي من أسمائه، فذو العرش

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٨ـ٢١٩.

محمود وأنا محمّد، ووعدني أن يحبوني بالحوض، وأعطاني الكوثر، وأنا أوّل شافع، وأوّل مشفع، ثمّ أخرجني في خير قرون أمّتي، وأمّتي الحمادون، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.(١)

وقال أبو الحسن البغوي في تفسيره عن إبن عباس: أراد تقلّبك في أصلاب الأنبياء من نبيّ إلى نبيّ حتّى خرجك في هذه الآية وقد فسّر كلمة ﴿السّاجِدِينَ﴾ بالأنبياء من قبله.(٢)

قال أمين الإسلام أبو علي الطبرسي في سياق تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السّاجِدِينَ﴾ أي ويرى تصرفك في المصلّين بالركوع والسجود والقيام والقعود... ثمّ قال: وقيل: معناه وتقلّبك في أصلاب الموحّدين من نبيّ إلى نبيّ، حتّى أخرجك نبيّاً، عن إبن عباس في رواية عطا، وعكرمة، وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام، قالا: في أصلاب النبيّين، نبيّ بعد نبيّ حتّى أخرجه من صلب أبيه، من نكاح غير سفاح، من لدن آدم عليه السلام.(٣)

---

(١) الدر المنثور للسيوطي: م ٦ / ٣٣٢، ط ١، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م. وللفخر الرازي كلام نقل فيه رأي الإمامية. والتفسير الكبير: م ٨ / ٥٣٧، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٥م. وفتح القدير لمحمّد بن علي الشوكاني: ١٢٥٠هـ، م ٤ / ١٢٢، ط دار المعرفة بيروت.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٥١٠هـ): م ٤ / ٢٨١، دار الفكر، بيروت ١٩٨٥م.

(٣) مجمع البيان، للطبرسي: م ٧ / ٣٥٨، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٥م. وتفسير نور الثقلين لإبن جمعه الحويزي: ١١١٢هـ، م ٤ / ٦٩، قم، المطبعة العلمية. والبرهان للسيّد هاشم البحراني: م ٣ / ١٩٢، ط ٣، قم ١٣٩٣هـ.

وقال الشيخ الطوسي: وقال قوم من أصحابنا: إنّه أراد تقلّبه من آدم إلى أبيه عبد الله في ظهور الموحّدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير الله.(١)

وقال المحدّث البحراني بسنده، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خلقت أنا وعلي بن أبي طالب عليهما السلام من نور واحد، نسبّح الله تعالى عند العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنّة ونحن في صلبه، ولقد همّ بالخطئية ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عزّ وجلّ من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتّى انتهى إلى عبد المطلب، فقسمنا نصفين، فجعلني في صلب عبد الله، وجعل عليّاً في صلب أبي طالب، وجعل فيّ النبوة والبركة، وجعل في علي الفصاحة والفروسية، وشقّ لنا إسمين من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمّد صلى الله عليه وآله والله الأعلى وهذا علي عليه السلام.(٢)

وتفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ٢ / ١٢٥، مؤسسة دار الكتاب، قم (أفست) مطبعة النجف ١٣٨٧ هـ.

(١) التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة الطوسي: م ٨/ ٦٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) البرهان في تفسير القرآن للسيّد هاشم البحراني: م ٣/ ١٩٣، قم.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ...﴾.[١]

بعد ما أقسم الله سبحانه بنور النهار كلّه وهو المعبّر عنه بالضحى، بيّن سبحانه جواب القسم فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي أنّ ربّك لم يتركك وما قطع عنك الوحي توديعاً، فإنّ ربّك لم يبغضك منذ اصطفاك نبيّاً....

وفي الآية ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ﴾ قيل هو تقرير لنعمة الله عليه حيث مات أبوه وبقي يتيماً فآواه الله سبحانه بأن سخّر له أوّلاً عبد المطلب.

ثمّ لمّا مات عبد المطلب قيّض له أبا طالب وسخّره للإشفاق عليه، وحبّبه إليه حتّى كان أحبّ إليه من أولاده فكفّله، وربّاه....[٢]

وإنّ جزاء هذه الكفالة وتلك التربية أن نزل جبرئيل عليه السلام على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: إنّي حرّمت النار على صلب أنزلك، وعلى بطن حملك، وحجر كفلك، فقال: يا جبرئيل! من تقول ذلك؟ قال: أمّا الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله بن عبد المطلب، وأمّا البطن الذي حملك، فآمنة بنت وهب، وأمّا الحجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب وفاطمة بنت أسد.[٣]

---

(١) سورة الضُحىٰ: ٦.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: ١٠ / ٦٤٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٦م.

(٣) التعظيم والمنّة للسيوطي: ص ٢٥، والغدير: ٧ / ٤٢٠، طبعة الأعلمي، بيروت.

وأخرج الرازي في فوائده بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمّي وأبي طالب[١] وأخو لي كان في الجاهلية وقريب منه في تاريخ اليعقوبي.[٢]

وذكره أبو الفتوح الرازي في تفسيره: إنّ الله عزّ وجلّ خاطب نبيّه صلى الله عليه وآله بواسطة جبرئيل فقال: حرّم على النار صلباً أنزلك، وبطناً حملك، وثدياً أرضعك، وحجراً كفلك، قال ومراده أبو طالب عليه السلام.

وهناك عدّة روايات نقلها البرزنجي في معرض حديثه للآية الكريمة: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ فراجع.

خامساً: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.[٣]

ذكر المفسّرون أنّ الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء في ينابيع المودة للقندوزي عن أبي نعيم الحافظ بإسناده عن أبي صالح عن إبن عباس، وعن أبي هريرة، وهناك طرق أخرى عديدة أكّدت على أنّ سبب نزولها كان في أمير المؤمنين عليه السلام.

غير أنّ المتدبّر في الآية الكريمة لو تساءل: من الذي نصر النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) ذخائر العقبى: ص ٧، الحافظ محبّ الدين الطبري مكتبة القدسي، مصر ١٣٥٦ هـ. والحجة على الذاهب: ص ٦٨، طبعة دار الزهراء، بيروت. وأسنى المطالب: ص ٥٢ ـ ٥٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٣٥٥، مؤسسة الأعلمي، تحقيق عبد الأمير مهنا. وشرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤/ ٦٧، بيروت ١٤١٣ هـ.

(٣) سورة الأنفال: ٦٣.

في بدء الدعوة إلى الله؟ ومن الذي وقف بوجه زعماء الشرك والكفر من قريش؟ ومن الذي حاماه وكفله...؟ كلّ ذلك يختصّ بأبي طالب عليه السلام، فله كلّ تلك المواقف الحميدة لأجل نصرة الإسلام والدفاع عن صاحب الرسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

سادساً: قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.(١)

فلو سألت من الذي آزر النبيّ ونصره في مستهل البعثة ....؟

أجمعت المصادر التاريخية وكتب التفسير والحديث والأدب، وكلّ من بحث عن تاريخ صدر الإسلام وبعثة النبيّ صلى الله عليه وآله، الكلّ قال: وبلا إستثناء؛ أنّ أبا طالب هو الزعيم الوحيد والعمّ الرؤوف بلا منازع نصر النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، قال الشيخ زيني دحلان في صدد الآية المتقدّمة: وقد صدّقه أبو طالب، ونصره بما اشتهر وعلم، ونابذ قريشاً بسببه، بما لا ينكره أحد من نقلة الأخبار فيكون من المفلحين.

وقال العلامة البرزنجي: أقول: إن أريد بالفلاح ـ أصل النجاة من النار ـ فهو إنّما يترتب على الإيمان الذي هو التصديق عند المحققين، وقد حصل ذلك.

وإن أريد الفلاح التام، فلا يلزم من عدمه حصول الكفر، على أنا نقول: قد اتبعه وأمر بإتباعه، لأنّ الظاهر من العواطف، أي في قوله:

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

﴿آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوه﴾ كما هو الأصل فيه، إنّ الأتباع غير الإيمان، وإذا كان غيره فيحمل الإيمان على التصديق، وهو حاصل، وإنّما كان الإتباع فيما كان شرع حينئذٍ، ولم يكن إلّا التوحيد وصلة الأرحام، وترك عبادة الأصنام، كما مرّ عن أبي طالب أنّه سأل النبيّ الكريم: بِمَ بُعثت؟ فأخبره صلى الله عليه وآله: أنّه بعث بصلة الأرحام، وأن يعبد الله ولا يعبد معه غيره، ولم يكن في ذلك الوقت، فرضت الصلاة، ولا الزكاة، ولا الصوم، ولا الحجّ، ولا الجهاد، فلم يبق إلّا قول (لا إله إلّا الله) فإن اعتبر بما يؤدّي التوحيد، فقد مرّ أنّه نطق بالوحدانية، وبحقيقة الرسالة، وتصديق النبيّ الكريم في أشعاره، وإنّما طلب النبيّ صلى الله عليه وآله منه عند وفاته ليحوز إيمان الوفاة، وإن لم يعتد به عند الموت، فتكون تلك القرائن دالّة على أنّه كان مصدقاً بقلبه، وإنّما امتنع من النطق به خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت... وهذا بحسب الظاهر، وأمّا في باطن الأمر، فالسبب الحقيقي في عدم نطقه بحضور القوم: المبالغة على حماية النبيّ الكريم، ونصرته....[1]

سابعاً: قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾.[2]

ذكر الشيخ العلامة الأميني نقلاً عن متشابه القرآن لابن شهر

---

(١) أسنى المطالب: ص ٤٠ ٤١، ط ٢، طبعت على نفقة السيّد يوسف سنة ١٣٠٥ هـ بمصر.

(٢) الحجّ: ٤٠.

آشوب ما لفظه:

إنّ أشعار أبي طالب الدالّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من كاشف النبيّ صلى الله عليه وآله ويصحح نبوّته.(١)

وقال السيّد فخار بن معد الموسوي: وهذا أبو طالب بن عبد المطلب له ديوان شعر يضاهي شعر زهير جميعه في الكثرة أو يزيد عليه، يتضمن جميعه الإقرار بالرسول صلى الله عليه وآله والتصديق له والحثّ على إتباعه، و التوحيد لله تعالى، وذكر المعاد والحساب.(٢)

فالآية الكريمة في صدد التعريف بشخصية مَنْ نصر النبيّ صلى الله عليه وآله وأبو طالب من أبرز مصاديق هذه الآية الكريمة، فتدبّر.

ثامناً: قوله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾.(٣)

الآية الكريمة في صدد بيان عقيدة الإيمان وصفات المؤمن، فهي تنفي وجود قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وتكون في قلوبهم المحبّة لمن يعادي الله ورسوله.

إذاً الآية ترفض محاباة الكافر، المشرك، المنافق....

---

(١) الغدير: ٧/ ٣٨٢، طبعة الأعلمي، بيروت. هامش أسنى المطالب: ص ١٢.

(٢) الحجة على الذاهب: ٣٧٢.

(٣) سورة المجادلة: ٢٢.

والآية تنهى بشدّة وصرامة المؤمن في أن يُحابي أهل الشرك الذين يعلنون عداوتهم ويحاربون الله والرسول....

ثمّ الآية ترفض ـ مع تأكيد شديد ـ موادّة الكافر حتّى لو كان ذوي رحم أو قربىٰ، بل حتّى لو كان أب أو أخ....

فالذي كتب في قلبه الإيمان لا بدّ أن يكون خالياً من محاباة الكافر مهما كان هذا الكافر حتّى الأب... وهل تنفع روابط الرحم والنسب في هذا المقام؟!

كلّا... لأنّ القرآن يرفض ذلك التناقض فلا يجتمع الإيمان وحبّ الكافر في قلب المؤمن!.

الإيمان والكفر نقيضان لا يجتمعان في قلب واحد.

الحبّ والبغض نقيضان لا يجتمعان في قلب المؤمن.

عبادة الله والخضوع للأصنام نقيضان لا يجتمعان....

الموالاة والمعاداة نقيضان لا يجتمعان....

وهكذا قسّ على ما سواه....

عُد إلى خصال النبيّ وسيرته مع عمّه أبي طالب...!

إذا كان أبو طالب ممّن فارق الدنيا وهو مشرك ـ على حدّ زعم الخصوم ـ والمشرك كما عرفت الذي يرفض توحيد الله...، والذي يخضع في ولائه للأصنام وعبادتها، بل هو ممّن حادّ الله ورسوله ووقف موقف الضدّ، والند للند....

فهل تستطيع أن تفسّر ولاء النبيّ صلى الله عليه وآله وحبّه الشديد لعمّه أبي طالب عليه السلام وفقاً للآية المتقدّمة من سورة المجادلة؟!

أمام المجيب أحد خيارين:

إمّا أن يقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خالف القرآن الكريم وخالف ربّ العالمين، فاتّبع هواه، وآثر الرحم على العقيدة والمبدأ... وإمّا أن يسلّم -وبشكل قطعي- بإيمان أبي طالب عليه السلام.

فالجواب الأوّل محال وحاشى للرسول صلى الله عليه وآله أن يخالف أوامر ربّه، فيبقى الجواب الثاني وهو التسليم بإيمان عمّه أبي طالب عليه السلام، وهو عليه إجماع أهل الإيمان والحقّ.

ولكي يفهم الخصم أن مدّعاه باطل نضع أمامه طائفة من الآيات الكريمة التي تكشف عن صدق إيمان أبي طالب، وأنّه المؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر، وهذا الكشف جاء من خلال حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه، وهذا الحبّ ليس وليد الساعة بل يمتد عمره بعمر النبيّ صلى الله عليه وآله من حين اطلّ النبيّ على الحياة وحتّى أن فارق أبو طالب الدنيا، أي أنّ هذا الحبّ شغل من عمر النبيّ صلى الله عليه وآله نصف قرن من الزمان، أنّه زمن مليء بالعطف والحنان والرأفة، حنان متبادل، وحبّ أواصره أشدّ من الحديد، وهذا الحبّ لا تجده من الرسول مصانعة لعمّه ولا من عمّه مجاملة لإبن أخيه، فحبّ النبيّ لعمّه ليس له مثيل ما خلا حبّه لخديجة وهكذا عند أبي طالب عليه السلام، أنّه حبّ منقطع النضير.

ولقد عرفت من حبّ أبي طالب لمحمّد صلى الله عليه وآله أنّه فاق حتّى حبّه لأولاده؛ علي وعقيل وجعفر....

فالآيات التي نريد أن نذكّر بها أولئك الذين ينفخون في رماد،

ويرسمون حروف زيفهم وكلامهم المنمّق على صحائف من الماء، نقول لهم هاؤم إقرؤا ما بين دفّتي القرآن المجيد، عسى أن يخرجكم الله من الظلمة الحالكة إلى النور والهداية....

تاسعاً: قال تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.(١)

سبحانه وتعالى يؤكّد في هذه الآية الكريمة على رابطة العقيدة وهي القاعدة الثابتة التي يقف عليها المؤمنون، أو الميزان الدقيق للإيمان في النفوس.

إنّ المؤمن حقّاً لا يجمع في قلبه ودّين، ودّاً لله والرسول وودّاً لأعداء الله والرسول، حتّى لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم... لأنّ روابط الدم والقرابة تنقطع عند حدّ الإيمان نعم يرد الإستثناء في محبة الوالدين المشركين، فإنّها تكون بالمعروف، وهذا مأمور بها حين لا تكون حرب أو خصومة بالسلاح فإذا قام السلاح ونهضت الحرب بين المؤمنين والكافرين فحينئذٍ تنقطع تلك الأواصر النسبية أو السببية، لأنّ الدين والعقيدة فوق علقة الرحم. هذا هو معنى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

وبمعنى آخر: لا رَحِمَ قبال العقيدة والمبدأ، من هنا قتل أبو عبيدة

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

أباه في يوم بدر، وقتل مصعب بن عمير أخاه عُبيد بن عمير، وقتل حمزة وعلي وعبيدة والحارث أقرباءهم، وممّا يؤكّد الآية السابقة قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.(١)

عاشراً: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.(٢)

الحادي عشر: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ...﴾.(٣)

الثاني عشر: قال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ...﴾.(٤)

الثالث عشر: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ

---

(١) سورة النساء: ١١٤.

(٢) سورة التوبة: ٢٣.

(٣) سورة الممتحنة: ١.

(٤) سورة آل عمران: ٢٨.

عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً...﴾.(١)

تشير الآيتان إلى المنافقين الذين يتولّون قوماً غضب الله عليهم ـ وهم اليهود ـ حيث كانوا على إتصال وعلى تنسيق في الكيد للمسلمين والتآمر عليهم، إنّهم تآمروا مع ألد أعدائهم عليهم، وتدلّ الآيات على أنّ سلطة الإسلام آنذاك كانت قد عظمت بحيث يخافها المنافقون وهذا الخوف يقودهم إلى أن يحلفوا ـ كذباً ـ لإنكار ما ينسب إليهم من المؤمرات، وهم يعلمون أنّهم كاذبون.

الرابع عشر: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.(٢)

الخامس عشر: قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.(٣)

تشير الآية ٥٤ من سورة المائدة إلى صفة مهمّة لا بدّ أن يتحلّى بها المؤمنون أنها صفة الإخلاص في الولاء، فلا بدّ أن يكون ولاء المؤمن لربّه ولرسوله وعقيدته والجماعة المؤمنة التي ينتمي إليها، وإنّ موالاة

---

(١) سورة المجادلة: ١٣ / ١٤.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

(٣) سورة المائدة: ٨١.

غير الجماعة المؤمنة معناه الإرتداد عن دين الله، والنكول عن هذا المبدأ الذي فرضه الواقع الذي إختاره هذا الفرد وهو الإنتماء إلى دين الله والإخلاص له. وفي هذا الولاء آيات كثيرة أكّدها القرآن الكريم فراجع.

وعليه، فإنّ القرآن الكريم يريد من المسلم أن يكون صاحب وعي ونباهة، وأن يعرف حقيقة أعدائه، وحقيقة المعركة التي يخوضها معهم، إنّها معركة العقيدة، وهي الحدّ الفاصل بين المسلم وأعدائه في كلّ عصر.

ثمّ الحبّ الذي ترسمه الآية الكريمة هو الحبّ والرضى المتبادل، هو الصلة بين المؤمنين أنفسهم، وهكذا صلة المؤمنين بربّهم.

إنّ حبّ العبد لربّه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلّا من ذاقها، بينما إنعام الله على العبد بهدايته لحبّه هو إنعام هائل عظيم لا يمكن وصفه، وإنّه عطاء لا يعرف قدره إلّا الذي يعرف حقيقة المعطي.

وهذه العصبة ـ المؤمنون ـ يسودهم روح الأخوة وهذه الأخوة هي المعبّرة عنها في الآية: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالمؤمن ذلول للمؤمن، غير عصي عليه، ولا صعب، بل سمح ودود.

وأمّا الآية ٨١ التي تقدّم ذكرها إنّها تنطبق على أهل الكتاب الذين كانوا يتولّون المشركين ويؤلّبونهم على المسلمين، وقد تجلّى هذا الأمر في غزوة الأحزاب ببيان واضح، بل أنّ أهل الكتاب على طول التاريخ كانوا يتعاونون مع الإلحاد كلّما ظهرت للمسلمين قوّة ضاربة ونصرٌ مؤزّر، فهم يتعاونون مع الوثنية المشركة كلّما كانت المعركة مع

المسلمين، وهذا ديدنهم إلى يومنا الحاضر.

ولا يخفى أنّ الآية الكريمة أيضاً تنطبق على المنافقين في كلّ زمان، لأنّهم لم يؤمنوا بالله وبرسوله حقّاً، فهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر لذا تراهم يوادّون أهل الشرك والإلحاد....

السادس عشر: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.(١)

السابع عشر: قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.(٢)

هذه جملة من الآيات، وغيرها في هذا المضمون كثير التي تنهىٰ عن الركون إليهم لأنّهم ظالمون، قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾.

كما تنهى المؤمنين في أن يتخذوا أعداء الله أولياء من دون الله.

هذه هي تعاليم السماء، وها هي الآيات صريحة في منطوقها وأدائها ومعانيها، فدعنا نسأل أرباب المذاهب ما ذا لديكم في تفسير هذه الآيات؟ وما هي تخريجاتكم فيما كان يعامل به النبيّ صلى الله عليه وآله عمّه أبا طالب عليه السلام؟

---

(١) سورة النساء: ١٣٩.

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

فهل وجدتم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله تغافل عن هذه الآيات؟
أم غفل عن معناها؟!

وهل عقل ما يفعل تجاه عمّه أبي طالب عليه السلام، أم تقولون كانت بينهما رحم وقرابة وشيجة؟ أم ماذا، أرشدونا وفق منطق القرآن المجيد ...!

فهل يجوز للنبيّ حامل رسالة السماء، والمبعوث للناس كافة ليبلّغهم تعاليم الإسلام؛ هل يجوز له أن يحابي أحداً خلافاً لمنطق القرآن وتعاليمه، فيعقد عرى الحبّ بينه وبين مشرك أو كافر إنطلاقاً من أواصر القرابة والنسب؟!

أم هل يجوز أن يستسلم لمن أسدى إليه معروفاً ووقف إلى جنبه مناصراً ومدافعاً وحامياً وهو لا يقرّ بما يحمله إبن أخيه من تعاليم ونصح وإرشاد؟!

كيف يتقبّل النبيّ صلى الله عليه وآله من عمّه ذاك السخاء وتلك النصرة وتلك المحبّة وهو منكر لدينه؛ ينأى عن التوحيد، ويرفض عبادة الله ... ولا يذعن لشهادة الإيمان؟!

هذه تساؤلات، كلّها تقيّدك، بل تلزمك ـ حقّاً ـ بالإعتراف بإيمان أبي طالب لا محالة، لما في سيرته من برهان سديد ودليل قاطع، على أنّه ما خالف ظاهره باطنه، وما حاد عن المنهج السوي، ولا توجّه نحو صنم أو عبادة وثن، بل ورث الإيمان بالله لمّا كان وصيّاً لأبيه وجدّه، الذين فارقوا الدنيا جميعاً وهم على سُنّة الآباء والأجداد، وعلى دينهم، دين جدّهم إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، إنّ الإذعان بهذا الرأي نخلص فيه إلى سلامة عمل النبيّ وصحّته، وسلامة سيرته تجاه

عمّه، ومطابقته لكلّ تعاليم القرآن الكريم.

إلى هنا تبيّن ضوء الصبح أبلجاً وضّاء لا يستره غشاوة العمىٰ، ولا يحجبه سقم ذوي الضلال....

بقي أن نذكّر أولئك الذين لجّ بهم العناد وشاقوا الله ورسوله، فنقول لهم وما شككّم في إيمان أبي طالب إلّا زيادة في الضلال، وبعداً عن الحقّ، ثمّ أنّكم في عملكم ذاك ليس فيه إلّا سخط الله وسخط رسوله لأنّكم آذيتم الله وآذيتم الرسول، والقرآن صريح في بيانه قد أعدّ الله سبحانه العذاب الشديد لمن يؤذي الرسول صلى الله عليه وآله بل ولعنهم في الدنيا والآخرة وجعل مأواهم جهنّم وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.(٣)

كانت هذه الآية في سياق الجواب الذي كتبه الإمام الرضا عليه السلام لأبان بن محمّد ـ البجلي ـ عند ما سأله: جعلت فداك: إنّي قد شككت في إسلام أبي طالب عليه السلام.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٢) سورة التوبة: ٦١.

(٣) سورة النساء: ١١٥.

قال: فكتب «بِسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّىٰ﴾[1]، إنّك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار».[2]

فقد أوضح له الإمام بجواب شافٍ وصريح، وهو أنّ الشك في إيمان أبي طالب شيء يتنافى والإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله فإنّ إيمان أبي طالب من مستلزمات العقيدة، ومن متبنّيات أهل البيت عليهم السلام، بحيث لا يتسرّب إليهما الشك، ومن داخله الشك فإنّه من الإيمان على مفارقة وسقوط، بل هو مشاقة للرسول، وتعامٍ عن الهدى، ومن يتعامىٰ عن الهدى فقد سلك سبيل الضلال، ونأىٰ عن جادة الحقّ، وزلّت به القدم.

---

(١) سورة النساء: ١١٤.

(٢) الحجة علىٰ الذاهب: ص ٩٩، وشرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد: ١٤/ ٦٨، دار إحياء التراث العربي.

الفصل الرابع

النبيّ ﷺ يشفع لعمّه

سيرة النبيّ ﷺ تكشف لنا اللثام عن وجهين بارزين؛ وجه قريش الحالك المكفهّر الطافح بالكفر، ووجه أبي طالب عليه السلام المشرق الوضّاء الذي يسطع منه نور الإيمان والوصاية والولاية، فإليك جملة من تلك الأحاديث الصحيحة والمعتبرة سنداً ومتناً.

١ ـ روى السيوطي بسنده عن النبيّ ﷺ وفي مصادر عديدة أنّه قال: هبط علي جبرئيل فقال لي يا محمّد: إنّ الله عزّ وجلّ مشفّعك في ستة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك، عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك، أبو طالب، وبيت آواك، عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، قيل يا رسول الله وما كان فعله؟

قال: كان سخيّا يطعم الطعام، ويجود بالنوال وثدي أرضعك، حليمة بنت أبي ذؤيب.[1]

قال الغفاري: إنّ الشفاعة لأهل الكبائر والمعاصي من المسلمين،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤ / ٦٧، والتعظيم والمنة للسيوطي: ص ٢٥، وقريب منه في تاريخ اليعقوبي: ١ / ٣٥٥.

أمّا الكافر لا سبيل له ولا نصيب له من الشفاعة، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله يدلّل على أنّ عمّه كان من أهل الإيمان لذا استحق الشفاعة من إبن أخيه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

٢ـ أخرج إبن سعد في طبقاته، عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بموت أبي طالب فبكى ثمّ قال: إذهب فاغسله وكفّنه وواره، غفر الله له ورحمه.

وفي لفظ إبن الجوزي: فبكى بكاء شديداً ثمّ قال: إذهب فاغسله....[١]

٣ـ قال اليعقوبي في تاريخه: لمّا قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه، واشتدّ له جزعه، ثمّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثمّ قال: يا عمّ! ربّيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّي خيراً، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم، وجُزيت خيراً.[٢]

٤ـ إنّه لمّا قبض أبو طالب عليه السلام أتى الإمام علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) سبط إبن الجوزي في التذكرة: ص ١٩، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت ١٤٠١هـ. وشرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/ ٧٦. والسيرة النبوية للحلبي: ١/ ٣٥١. وعلى هامش السيرة الحلبية: ١/ ٩٠. ونجاة أبي طالب كما في أسنى المطالب: ص ٣٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٣٥٥، منشورات مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت ١٤١٣هـ.

فأخبره بموته فتوجّع لذلك النبيّ ﷺ وقال: امضِ يا علي فتولّ غسله وتكفينه وتحنيطه، فإذا رفعته على سريره فأعلمني.

ففعل ذلك علي عليه السلام، فلمّا رفعه على السرير اعترضه النبيّ ﷺ فرقّ له، وقال: «وصلتك رحم يا عمّ، وجزيت خيراً، فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً».(١)

ثمّ تبعه إلى حفرته فوقف عليه (ثمّ أقبل على الناس) فقال: (أما والله، لأستغفرنّ لك و لأشفعنّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان).

في هذا الحديث عدّة أدلّة على إيمان أبي طالب عليه السلام:

أوّلاً: ما توجُّعُ النبيّ على عمّه أبي طالب إلّا لكونه فارق الحياة وهو مؤمن بالله وبرسوله، وفقدانه ثلمة في حياة الرسول ﷺ وخسارة له، حيث كان الدرع الواقي له طيلة فترة وجوده مع النبيّ ﷺ.

ثانياً: ما أمر النبيّ ﷺ لعلي عليه السلام في تغسيل أبي طالب وتكفينه وتحنيطه إلّا لكونه عليه السلام من أهل القبلة والتوحيد بالله.

ثالثاً: قول النبيّ ﷺ وهو معترضاً جنازة أبي طالب عليه السلام: (وصلتك رحم، وجزيت خيراً ونصرت وآزرت كبيراً)، إنّما تُنبيء عن كون المخاطب ـ أبو طالب ـ ذا منزلة وقدر كبير عند النبيّ ﷺ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/ ٧٦، وشيخ الأبطح: ٤٣. والحجة على الذاهب: ٦٧، ومعجم القبور: ١٩١ و٢٠٤، وتفسير علي بن إبراهيم: ٣٥٥، وتذكرة الخواص: ١٩. والأعيان: ٣٩/ ١٣٩ و١٦١. ودلائل النبوة للبيهقي: ٢/ ٣٤٩.

وما هذا الجزاء الخير من النبيّ إلّا لكون أبي طالب عليه السلام قد فارق الدنيا وهو على ملّة الإسلام، وإلّا كان دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله عبثاً ولغواً، حيث لا يجوز الإستغفار والدعاء لمن مات وهو كافر.

رابعاً: أمرَ رسول الله علياً عليه السلام بتجهيز والده بعد الغسل والكفن دون بقيّة أولاده؛ إذ كان مَنْ حضره من ولده عقيل وطالب، وكلاهما يومئذ لم يدخلا في الإسلام، بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام وحده ممّن حظر وهو مؤمن بالله ورسوله، أمّا جعفر فقد كان مهاجراً إلى الحبشة. لذا خصّ رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن من ولد أبي طالب بولاية أمره لموافقة إيمانه إيمان أبيه.

ولو كان أبو طالب مات كما يزعم الخصوم من النواصب لكان عقيل وطالب أحقّ بتولية أمر أبي طالب وتكفينه من علي عليه السلام، ولما جاز للمسلم من ولده القيام بأمره، لإنقطاع العصمة بينهما.

خامساً: في حكم رسول الله صلى الله عليه وآله بإجراء أحكام المسلمين على إبي طالب من الغسل والتطهير والتحنيط والتكفين والمواراة شاهد صدق علىٰ إيمانه.

سادساً: الصلاة على الميّت المسلم في ذلك الوقت لم تشرّع بعد، وإنّما كان الحمد والدعاء والثناء فحسب فلو كان أبو طالب مات كافراً لما وسع رسول الله صلى الله عليه وآله الثناء عليه بعد الموت، والدعاء له بشيء من الخير، بل كان على الرسول صلى الله عليه وآله أن يتجنّب الصلاة عليه (الدعاء) لما ورد في الذكر الحكيم: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلىٰ

قَبْرِهِ﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.(٢)

إذاً فعل الرسول ﷺ حجة قاطعة فيما تصدّى له من أمر، وما صدر منه ﷺ من الثناء والحمد والدعاء، لعمّه إنّما لكونه مؤمناً وما وعده من الخير، حيث قال ﷺ: «لأشفعنّ لعمّي شفاعة يعجب منها أهل الثقلين».(٣)

كلّ ذلك خير دليل على إيمان أبي طالب.

٥ ـ ممّا قاله النبيّ ﷺ في حقّ عمّه أبي طالب عليه السلام:

«لله درّ أبي طالب، لو كان حيّاً لقرّت عيناه، مَنْ الذي ينشدنا شعره ...»،

لله درّه: دعاء وإطراء معروف، أي لله ما أخرج منه من خير وهو يستعمل في مورد التعجب والإحترام والتقدير.

قال أبو هلال العسكري: الأصل فيه أن الرجل إذا كثر خيره وعطاؤه قيل: «لله دَرّه» أي له إحمادُ ما يُنيلُه، كما يقولون لمن حمدوه: لله هو، والدّرُ عندهم: الخير، وأصله اللبن، ثمّ كثُر المثلُ حتّى قالوا

---

(١) التوبة: ٨٥.

(٢) سورة التوبة: ١١٥.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٤/ ٧٧، وشيخ الأبطح: ٤٣. والحجة على الذاهب: ٦٧. ومعجم القبور: ١/ ١٩١ و٢٠٤، وتذكرة الخواص: ١٠، وإيمان أبي طالب: ١٠، وفي بعض النسخ (يعجب لها الثقلان).

لكلّ ما تعجّبوا منه: «لله دَرّه» ... ويقولون عند المدح: درّ درّك، وعند الذمّ: لا درّ درُّه.(١)

قال الغفاري: هل ترى الرسول يطري على أحد بالثناء وهو ليس أهلاً له؟!

أو أنّه يحمده من دون إستحقاق؟!

بل يتابع الرسول حمده وثناءه لعمّه متابعة متواصلة يتّبعها إستغفار، فإن لم يكن أبو طالب قلبه عامراً بالإيمان لما أثنى عليه النبيّ، ولما صدر منه ذلك الإستغفار فتدّبر.

ولمّا سأل صلى الله عليه وآله من الذي ينشدنا شعره ...، قام الإمام علي عليه السلام فقال: يا رسول الله لعلّك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامىٰ، عصمة للأرامل

قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أجل.

راح الإمام علي ينشده الأبيات إلى آخرها والرسول صلى الله عليه وآله من على المنبر يتابع إستغفاره لعمّه ... وفي الإثناء قام شاعر كنانه ينشده:

لك الحمد، والحمد ممّن شكر سقينا بوجه النبيّ المطر
دعا الله خالقه دعوةً إليه، وأشخص منه البصر
فلم يك إلّا كإلقاء الّردا وأسرعَ حتّى رأينا الدرر
دفاق العزاليّ جمُّ البعاق أغاث به الله علياً مضر

---

(١) كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري: ص ١٧٢، طبعة دار الكتب العلمية.

فكـــان كـما قـاله عـمّه أبو طالب: أبـيض ذو غـرر
به الله يسـقيه صـوب الغـمام وهـذا العـيان لذاك الخـبر[١]

٦ـ وأخرج البيهقي عن إبن عباس: إنّ النبيّ ﷺ عاد من جنازة أبي طالب فقال: وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عـمّ، وفي لفـظ الخطيب: عارض النبيّ جنازة أبي طالب، فقال: وصلتك رحم، جزاك الله خيراً يا عمّ.[٢]

٧ـ وفي تاريخ اليعقوبي، روى أنّه ﷺ قال: إنّ الله عزّ وجلّ وعدني في أربعة في أبي وأمي وعمّي وأخ كان لي في الجاهلية.[٣]

وأخرج إبن الجوزي بإسناده عن الإمام علي عليه السلام مرفوعاً عـن النبيّ قال ﷺ: هبط جبرئيل عليه السلام عليّ فقال: إنّ الله يقرئك السلام ويقول حرّمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، أمّا الصلب فعبد الله، وأمّا البطن فآمنة، وأمّا الحـجر فـعمّه يـعني أبا طالب وفاطمة بنت أسد.[٤]

---

(١) أبو طالب شيخ الأبطح: ٤٥. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٤ / ٨١. والغدير: ٧ / ٣٧٥.

(٢) دلائل النبوة: ٢ / ٣٤٩. وتاريخ الخطيب البغدادي: ١٣ / ١٩٦. وتـاريخ إبـن كثير: ٣ / ١٢٥. وتذكرة سبط إبن الجوزي: ص ١٩. ونهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفي كما في الطرائف: ص ٨٦. والإصابة في تمـيز الصـحابة: ٤ / ١١٦ـ ١١٩. وشرح شواهد المغنى: ص ١٣٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١ / ٣٥٥.

(٤) التعظيم والمنة للسيوطي: ص ٢٥. والغدير: ٧ / ٤٢٠.

٨ـ روى أصحاب الحديث عن رجالهم الثقات من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل فقيل له: ما تقول في عمّك أبي طالب يا رسول الله، وترجو له؟

قال: «أرجو له كلّ خير من ربّي».(١)

أقول: فإن لم يكن مات على الإيمان لمّا جاز من رسول الله صلى الله عليه وآله رجاء كلّ الخيرات له من الله سبحانه، مع ما قطع له تعالى بـه في القرآن وعلى لسان مبعوثه الأكرم صلى الله عليه وآله من خلود الكفّار في النـار وتأبيدهم في العذاب....

٩ـ وعن العباس بن عبد المطلب أنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: «كلّ خير أرجو من ربّي عزّ وجلّ».(٢)

١٠ـ جاء في ذخائر العقبى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قـال لعـقيل بـن أبي طالب: يا أبا يزيد أنّي أحبُّك حُبّين حبّاً لقرابتك منّي، وحبّاً لما كنتُ أعلم من حبِّ عمّي أبي طالب إيّاك.(٣)

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ١/١٣٨. وشرح نهـج البـلاغة لابـن أبي الحـديد: ١٤/٦٨. وإيمان أبي طالب للمفيد: ص٢٧.

(٢) تاريخ الذهبي: ١/١٣٨. وطبقات إبن سعد: ١/١٢٣، دار بيروت ١٩٨٥م.

(٣) وأخرجه إبن عبد البرّ في الإستيعاب: ٢/١٠٧٨، ترجمة ٣٨٣٤، نهضة مصر للطباعة، القاهرة. وذخائر العقبى: ص ٢٢٢، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦ هـ. والطبراني كما في الذخائر، وتاريخ الخميس: ١/١٦٣، دار صادر ومؤسسة شعبان، بيروت. وعماد الدين العامري في بهجة المحافل: ١/٣٢٧. والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/٢٧٣، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢م. وقال: رجاله

قال الغفاري: ما كان حبّ النبيّ لعقيل إلّا لحبّين أحدهما القرابة والآخر حبّ أبي طالب لعقيل، فإنّ نصف هذا الحبّ ـ حبّ النبيّ لعقيل ـ سببه هو أبو طالب عليه السلام، فلو كان أبو طالب غير مؤمن فما أحبّه الرسول ﷺ. فتدبّر.

إذاً الحبّ لا يستقر في قلب المؤمن تجاه الكافر، والآيات في ذلك صريحة وقد تقدّم ذكرها.

ثمّ ما قيمة حبّ كافرٍ لشخص ما كعقيل حتّى يكون سبباً لحبّ النبيّ ﷺ عقيلاً؟!

١١ ـ وروى البيهقي بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ قال: ما زالت قريش كاعّين عنّي حتّى مات أبو طالب عليه السلام.(١)

١٢ ـ وروى البيهقي بسنده عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر قال: لمّا مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، قال فجعل يقول ﷺ: أي بنيّة لا تبكين فإنّ الله عزّ وجلّ مانع أباك، ويقول ما بين ذاك ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب عليه السلام.(٢)

ثقات.

(١) دلائل الصدق، أحمد بن الحسين البيهقي: ٢ / ٣٤٩، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ٣٥٠.

١٣ ـ في حديث جابر أنّه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: الناس يقولون إنّ أبا طالب مات كافراً، قال يا جابر: الله أعلم بالغيب، إنّه لمّا كانت الليلة التي أسري بي فيها إلى السماء إنتهيت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار، فقلت إلهي ما هذه الأنوار؟

فقال يا محمّد: هذا عبد المطلب، وهذا أبو طالب، وهذا أبوك عبد الله، وهذا أخوك طالب.

فقلت: إلهي وسيّدي فبما نالوا هذه الدرجة؟

قال: بكتمانهم الإيمان وإظهارهم الكفر، وصبرهم على ذلك حتّى ماتوا عليه.(١)

أقول: كلّ الذي تقدّم من مواقف ومن كلام قد صدر من النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما أدلّة تؤكّد لنا إيمان أبي طالب عليه السلام.

ثمّ لا يخفاك أنّ هذا الإسراء ليس هو الأوّل من نوعه، لأنّ الإسراء الأوّل حصل في مكة في السنة الثالثة من البعثة وآخر في السنة الخامسة فتدبّر.

---

(١) روضة الواعظين، لابن الفتال: ١/ ٣٢١، حديث (٤/ ٣٣٢)، وفيه أحاديث أخرى في إيمان أبي طالب عليه السلام، ط ١، تحقيق غلام حسين المجيدي، قم ١٤٢٣هـ.

السيرة الشرعية حاكمة على إيمان أبي طالب عليه السلام

لو اعرضنا صفحاً عن كلّ ما تقدّم، نقول هناك الدليل الشرعي الذي لا يختلف فيه المسلمون، علينا أن نقف عنده حتّى يتبيّن الأمر للخصم، فمنه:

أوّلاً: بقاء فاطمة بنت أسد عليها السلام على عصمة زوجها

من الأحكام الشرعية التي عرفها كلّ فقهاء المسلمين أنّ الكافر لا ولاية له على المؤمن، ومن هنا فرّق النبيّ ﷺ بين الأزواج المؤمنات وأزواجهنّ الكافرين، كما فعله بالنسبة لربائبِهِ.

وفي ذلك نزل قرآن.

قال تعالى: ﴿...وَلَنْ يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿...وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿...وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾.(٣)

١ ـ أورد العلامة السيوطي في تفسيره للآية: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ

---

(١) النساء: ١٤١.

(٢) الممتحنة: ١٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٢١.

الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذٰلِكُمْ حُكْمُ اللّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال: فطلّق عمر بن الخطاب امرأته بنت أبي أميّة بن المغيرة من بني مخزوم فتزوّجها معاوية بن أبي سفيان، وبنت جرول من خزاعة فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي جهم بن حذيفة العدوّي، وجعل ذلك حكماً، حكم به بين المؤمنين وبين المشركين في مدّة العهد....[1]

٢ ـ وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مجاهد: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ إنّ امرأة من أهل مكّة أتت المسلمين فعوّضوا زوجها، وإنّ امرأة من المسلمين أتت المشركين فعوّضوا زوجها، وإنّ امرأة من المسلمين ذهبت إلى من ليس له عهد من المشركين ﴿فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾....[2]

٣ ـ وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب أنّه بلغه أنّه نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ الآية، في امرأة أبي حسان بن الدحداحة، وهي أميمة بنت بسر امرأة من بني عمرو بن عوف، وأنّ سهل بن حنيف تزوّجها حين فرّت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فولدت له عبد الله بن سهل.

٤ ـ وأخرج إبن أبي حاتم عن مقاتل قال: كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الدر المنثور، السيوطي: ٨/ ١٣٥، طبعة دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م.

(٢) المصدر السابق: ٨/ ١٣٦.

وأهل مكّة عهد شرط في أنّ يرد النساء فجاءت امرأة تسمىٰ سعيدة، وكانت تحت صيفي بن الراهب، وهو مشرك من أهل مكّة، وطلبوا ردّها فأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ الآية.(١)

٥ـ وأخرج إبن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن إبن عباس قال: أسلم عمر بن الخطاب وتأخرت امرأته في المشركين فأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...﴾.(٢)

٦ـ وأخرج الطبراني وأبو نعيم وإبن عساكر عن يزيد بن الأخنس أنّه لمّا أسلم، أسلم معه جميع أهله إلّا امرأة واحدة أبت أن تسلم فأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...﴾ فقيل له: قد أنزل الله أنّه فرّق بينها وبين زوجها إلّا أن تسلم، فضرب لها أجل سنة، فلمّا مضت السنة إلّا يوماً جلست تنظر الشمس حتّى إذا دنت للغروب أسلمت.(٣)

٧ـ وأخرج إبن أبي حاتم عن طلحة قال: لمّا نزلت: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ طلّقت امرأتي أروى بنت ربيعة، وطلّق عمر قريبه بنت أبي أميّة، وأم كلثوم بنت جرول الخزاعية.(٤)

٨ـ وأخرج إبن أبي حاتم عن الحسن في قوله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ قال: نزلت في امرأة الحكم بنت أبي سفيان

---

(١) الدر المنثور: ٨ / ١٣٦.

(٢) المصدر السابق: ٨ / ١٣٧.

(٣) المصدر السابق: ٨ / ١٣٧.

(٤) المصدر السابق: ٨ / ١٣٨.

إرتدت فتزوّجها رجل ثقفي، ولم ترتد امرأة من قريش غيرها، فأسلمت مع ثقيف حين أسلموا.(١)

هذه بعض الأخبار وهي صحيحة متناً وسنداً تنبؤك إنّ الكافر لا سبيل له على المؤمن. ولا عصمة بين كافر ومسلم، فالمرأة المسلمة تبين عن زوجها الكافر، وهكذا الرجل المؤمن تبين منه زوجه الكافرة....

أمّا أبو طالب فلكونه مؤمناً لم تنفصل عنه فاطمة بنت أسد، و إلى هذا أشار الإمام زين العابدين عليه السلام حين قيل له: إنّ هاهنا قوماً يزعمون أنّ أبا طالب كافر، فأجاب عليه السلام: واعجباً كلّ العجب يطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نهاه الله تعالى أن يقرّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أنّ فاطمة بنت أسد عليها السلام من المؤمنات السابقات، فإنّها لم تزل تحت أبي طالب حتّى مات عليه السلام.(٢)

وفي ذلك يقول السيد عبد العزيز سيّد الأهل: إنّ هذا الحكم كان موجوداً في حياة أبي طالب، قال: وعند خروج بني هاشم من الشعب حرّم الدين الجديد المشركة على المسلم، والمشرك على المسلمة.(٣)

---

(١) المصدر السابق: ٨/١٣٨.

(٢) الغدير: ٧/ ٥٢٤، طبعة مركز الغدير، بيروت. وشرح النهج: ١٤/ ٩٢. والحجة على الذاهب: ١٢٣. وأعيان الشيعة: ٣٩/ ١٣٦.

(٣) أبو طالب عليه السلام عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله: ص ٩.

من سيرة فاطمة بنت أسد عليها السلام:

فاطمة صحابية جليلة، أبوها أسد بن هاشم بن عبد مناف، حظيت برعاية النبيّ ﷺ حينما كفله عمّه أبو طالب بناء على وصيّة أبيه عبد المطلب، فكانت له أمّاً بعد آمنة، تقوم على شؤونه، وترعىٰ أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وقد كان المصطفى ﷺ في كنفها قرابة العقدين من حياته، ذلك قبل زواجه من خديجة، وأمّا بعد زواجه فكانت ترعاه كذلك إلى أن صدع بالرسالة.

وعند ما أمر الله سبحانه النبيّ ﷺ بإظهار دينه، وإنذار عشيرته الأقربين قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.(١)

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، عندها جهر بالدعوة إلى الله فاستجابت فاطمة بنت أسد، وأسلمت فحظيت بشرف الصحبة منذ بدء الرسالة المباركة، فهي من السابقات الأوليات في الإسلام، بل هي من الصفوة المباركة، ثمّ كانت من المهاجرات الأوليات، ولفضلها وصلاحها وإيمانها وتقواها وبرّها للرسول كان النبيّ ﷺ يكرمها ويعطف عليها حيث بلغت من العمر تضاهي السبعين، وكان يزورها ويقيل في بيتها بالمدينة، كما كان بيتها بمكة مآباً طيباً للنبيّ وسكناً آمناً.

ذكر سبط إبن الجوزي في فصل تحدّث فيه عن فاطمة بنت أسد، فقال: قال إبن عباس: وفيها ـ أي في فاطمة بنت أسد ـ نزلت: ﴿يا

---

(١) الحجر: ٩٤.

﴿أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ الآية.

قال: وهي أوّل امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية، وهي أوّل امرأة بايعت محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة بعد خديجة.

قال الزهري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يحشر الناس يوم القيامة عراة فقالت: واسوأتاه. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله فأنّي اسأل الله أن يبعثك كاسية. قال: وسمعته يقول أو يذكر عذاب القبر فقالت: واضعفاه. فقال صلى الله عليه وآله: أنّي اسأل الله أن يكفيك ذلك.(١)

ولمّا توفّيت خصّها النبيّ صلى الله عليه وآله بكلمات الرحمة والمغفرة والدعاء والإستغفار لها، فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمّي، كنت أمّي بعد أمّي، تجوعين و تشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبها وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الأخرة، ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صبّ الماء الذي فيه الكافور عليها بيده، وخلع قميصه فألبسها إيّاه وكفّنها ببُردٍ فوقه، ولمّا حفر قبرها، وبلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وآله بيده وأخرج ترابه، فلمّا فرغ منه صلى الله عليه وآله دخل فاضطجع فيه، ثمّ قال: الله الذي يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، اللّهم إغفر لأمّي فاطمة بنت أسد ـ ولقّنها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها ـ بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي فإنّك أرحم الراحمين، ثمّ كبّر عليها أربعاً وأدخلها لحدها، وقيل كبّر عليها سبعاً وقيل تسعاً.

---

(١) تذكرة الخواص لسبط إبن الجوزي: ص ٢٠، طبعة مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت.

وتعجّب الصحابة من صنع الرسول ﷺ، فقالوا له: فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحدٍ؟

فقال ﷺ: إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنّما ألبستها قميصي لتُكسىٰ من حُلَلِ الجنّة، واضطجعت معها ليهون عليها.

رواه أنس بن مالك، وذكره أحمد خليل في كتابه.(١)

قال الغفاري: هذا الحديث الذي رواه لنا أنس بن مالك فيه دلالات عديدة على إيمان أبي طالب وزوجه فاطمة بنت أسد، ثمّ دعاء النبيّ ﷺ لهما هو خير دليل نعتمده، فعلىٰ اللبيب المنصف، والمسلم النزيه أن يتجرّد عن العناد ويحكّم عقله ووجدانه فيما يقرأ وفيما يسمع، وألّا يعبأ بصرخات المنافقين ودعوات المضلّين في تشويه صورة الواقع التي سطعت في جبين أبي طالب، والنور الذي تلألأ في وجهه، أنّه نور ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام وسيّد الوصيّن فهو والنبيّ محمّد كانا ينقلان من الأصلاب الشامخة الطاهرة إلى الأرحام المطهرة....

---

(١) نساء من عصر النبوة، أحمد خليل جمعة: ١/ ٢٥. دار إبن كثير للطباعة والنشر، ط ١، دمشق ١٩٩٢م.

ثانياً: النبيّ صلى الله عليه وآله يتغذّى من لبن عمّه

روى الكليني بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا ولد النبيّ صلى الله عليه وآله مكث أيّاماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبناً فرضع منه أيّاماً حتّى وقع أبو طالب على حليمة السعديّة فدفعه إليها.(١)

قال الغفاري: لمّا ولد النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله كان في سنيّه الأولى تحت رعاية جدّه عبد المطلب وهو الذي اهتم في شأن رضاع النبيّ، ولا يستبعد أنّه كلّف إبنه أبا طالب يبحث له عن مرضعة ترضعه، فكانت أيّامه الأولى في حضانة أبي طالب عليه السلام، وقد عرفت من حديث الإمام الصادق عليه السلام كيف أجرى الله سبحانه طعام نبيّه من صدر أبي طالب، وهذا ليس على الله ببعيد، وليس عجيباً أن يفديه أبو طالب بكلّ نفيس، بل وحتّى بأولاده حفاظاً على صاحب الرسالة الغرّاء، وأعلاءً لكلمة التوحيد، وإن ناوأه المشركون.

إذاً اجراء هذه الكرامة لأبي طالب دليل قوي على توحيده وإيمانه الخالص بالله سبحانه، فإفهم وتأمّل.

---

(١) أصول الكافي: ١ / ٤٤٨، باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله، حديث ٢٧، ط ٤، دار صعب، دار التعارف، بيروت ١٤٠١هـ.

ثالثاً: الحجّ والطواف عن أبي طالب عليه السلام

وممّا يستدلّ ـ فقهيّاً ـ على إيمان أبي طالب عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله والد النبيّ ﷺ، وعن والدته؛ آمنة، وعن أبي طالب في حياته، ثمّ أوصى في وصيته لبنيه (الحسن والحسين) بالحجّ عنهم.(١)

قال الغفاري: وهل قرأت في كتب الفقه أنّ أحد المسلمين أوصى أحداً أن يحج عن أبيه الكافر؟!

هذه كلّ كتب الفقه عارية عن هكذا شاهد. أمّا فعل أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه يؤكّد لك بأنّ آباء النبيّ ﷺ وهكذا أبا طالب كانوا مؤمنين حقّاً.

الإمام الصادق عليه السلام يأمر داود الرقي بالطواف عن أبي طالب عليه السلام:

روى فخار بن معد الموسوي (ت ٦٣٠ هـ) بإسناده عن داود الرقي قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام ولي علىٰ رجل دين وقد خفت تواه ـ أي هلاك المال ـ فشكوت ذلك إليه، فقال عليه السلام: إذا مررت بمكّة فطف عن عبد المطلب طوافاً، وصلّ عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافاً، وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً، وصلّ عنها ركعتين، وطف عن

---

(١) الحجة على الذاهب: ص ١٠٧، طبعة دار الزهراء عليها السلام، بيروت. وبحار الأنوار: ١١٢/٣٥.

فاطمة بنت أسد طوافاً، وصلّ عنها ركعتين، ثمّ ادع الله عزّ وجلّ أن يردّ عليك مالك، قال: ففعلت ذلك ثمّ خرجت من باب الصفا، فإذا غريمي واقف يقول: يا دود جئني هناك فأقبض حقّك.(١)

أقول: إذا لم يكن أبو طالب مؤمناً بالله، متمسّكاً بعرى الإسلام فهل يصحّ للإمام الصادق عليه السلام أن يأمر داود الرقي بالطواف عنه في الكعبة؟

رابعاً: هدية المشرك

ممّا حرّم النبيّ على نفسه هدية المشرك.

جاء في البحار أنّ البراء بن عامر بن صعصة قدم على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وهو في المدينة، وأهدى له هدية، فأبىٰ الرسول صلى الله عليه وآله أن يقبلها، وقال: يا أبا براء؛ لا أقبل هدية مشرك، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك.(٢)

وقد ذكروا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد ردّ هدية حكيم بن حزام؛ لأنّه كان مشركاً....(٣)

---

(١) الحجة على الذاهب لابن معد الموسوي: ص ١٠٤. والغدير: ٧/ ٥٢٩، مركز الغدير للدراسات الإسلامية. والبحار: ٣٥/ ١١٢.

(٢) البحار: ٢٠/ ١٤٧، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) مستدرك الحاكم النيسابوري: ٣/ ٤٨٤، مجمع الزوائد للهيثمي: ٨/ ٢٧٨، كنز العمال للمتقي الهندي: ٦/ ٥٧ و٥٩.

كما أنّه ﷺ لم يقبل هدية عامر بن الطفيل، لأنّه لم يكن قد أسلم بعد.

ومثله هدية ملاعب الأسنّة فقد ردّها ﷺ وقال: لا أقبل هدية مشرك.(١)

وذكرت مصادر السيرة أنّ عياض المجاشعي أهدى إلىٰ النبيّ ﷺ هدية فأبىٰ قبولها، وقال: إنّي نهيت عن زبد المشركين.(٢)

قال الغفاري: لا يخفىٰ عليك أنّ هدية أهل الكتاب غير هدية المشرك الوثني، فهناك عدّة روايات أنّه ﷺ لم يردّ هديةً على يهودي ولا نصراني.(٣)

فهل كان أيواء أبي طالب للنبيّ واغداقه عليه من الهبات والكسوة وغيرها له وجه شرعي؟!

حسب المنطوق الشرعي لا بدّ من القول بإيمان أبي طالب وإلّا يكون التناقض والتضاد في سيرة سيّد الكائنات محمّد ﷺ، وهذا محال فتدبّر.

---

(١) كنز العمال: ٣ / ١٧٧، ط ١. المصنف لعبد الرزاق: ١ / ٤٤٦، مجمع البيان: م ١ / ٥٣٥.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والطيالسي والبيهقي كما في كنز العمال: ٦ / ٥٧ و٥٩. والمعجم الصغير: ١ / ٩، والوسائل للحرّ العاملي: ١٢ / ٢١٦، والمصنف لعبد الرزاق: ١٠ / ٤٤٧.

(٣) الوسائل: ١٢ / ٢١٧، والبحار: ٥٠ / ١٠٧.

خامساً: عدم أكل طعام المشرك

من الأدلّة الشرعية الأخرىٰ عدم أكل طعام المشركين، فهذا عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة الرسول صلى الله عليه وآله، واتّخذ ضيافة، فدعا إليها رسول الله صلى الله عليه وآله فأبى أن يأكل من طعامه حتّى ينطق بالشهادتين، ففعل.(١)

أنظر إلى هذا الحكم الشرعي، حيث دُعي النبيّ لمرة واحدة من قبل هذا المشرك ـ عقبة بن أبي معيط ـ في الوقت الذي عاش في كنف أبي طالب أكثر من أربعين سنة يأكل من طعامه ويسكن إلى جواره وفي حماه... ألا يدلّ ذلك على إيمان أبي طالب وأنّ طعامه كان حلالاً طيباً للآكلين؟!

سادساً: مال المسلم حرام علىٰ الكافر

لم نجد من بين الأخبار أنّ الرسول صلى الله عليه وآله تقلّب على فراش أحد المشركين لكونهم رجس نجس، ومال المسلم حرام على المشرك وإليك حادثة تكشف لك عمق هذا الحكم الشرعي:

لقد اخلفت قريش بنود صلح الحديبية واعتدت على حلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله من (خزاعة) فجاء أبو سفيان إلى المدينة المنوّرة يلتمس تمديد الصلح ـ أي زيادة في المدّة والمواثيق ـ فدخل على إبنته (أم

---

(١) الغدير: ٨/٣٨٦، طبعة مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت ١٩٩٥م.

حبيبة) بنت أبي سفيان وزوجة النبيّ ﷺ فلمّا همّ بالجلوس على فراش النبيّ ﷺ سحبته بقوّة وطوته عنه، فقال: يا بنيّه: ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش أم رغبتِ به عنّي؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس.(١)

أقول: لا يخفى عليك أنّ ذلك من بديهيات العقيدة والمبدأ، إذاً كيف تفسّر جلوس النبيّ ومبيته وقيامه وقعوده و... على فراش أبي طالب وما يملكه في بيته من وسائل وأثاث وقد عرفت من قبل أنّ النبيّ ﷺ مكث مع عمّه في بيته أكثر من أربعين سنة.

سابعاً: الحنين إلى أبي طالب عليه السلام وإستصراخ النبيّ ﷺ لعمّه

لقد أجمعت المصادر على أنّ قريش ما كانت تجرأ على أذى النبيّ ﷺ وأبا طالب حيّاً، ولكن بعد وفاته نهضت قريش بوجه النبيّ ﷺ كالأسد الهائج تريد أن تقتله بأي ثمن كانّ وفي أي فرصة سنحت، لذا قال ﷺ: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب عليه السلام».(٢)

وعند تفاقم الخطب كان يستصرخ روح عمّه الطاهرة ويسترعي

---

(١) سيرة إبن هشام: ٤ / ٣٨، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) السيرة الحلبية: ٢ / ٥٠، طبعة دار المعرفة، بيروت. وتاريخ الطبري: ٢ / ٢٢٩.

بالشكوىٰ إليها فيقول: «يا عمّ ما أسرع ما وجدت فقدك».[١]

وعلى أثر هذه المحن وتجاسر قريش وشراستها في أمر النبيّ صلى الله عليه وآله نزل جبرئيل فقال: «يا محمّد أخرج من مكّة فليس لك بها ناصر ...».

وفي رواية إبن أبي الحديد: أن أخرج من مكّة فقد مات ناصرك.[٢]

ثامناً: موقف النبيّ وإستغفاره لعمّه

يروي لنا إبن أبي الحديد ما جرى لأبي عبيدة بن الحرث نقلاً عن كتب السير والمغازي؛ أنّ عتبة بن ربيعة أو شيبة لمّا قطع رجل أبي عبيدة بن الحرث بن المطلب يوم بدر أشبل عليه علي بن أبي طالب وحمزة فاستنقذاه منه و خبطا عتبة بسيفهما حتّى قتلاه، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وإن مخ ساقه ليسيل، فقال يا رسول الله لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنّه كان صادقاً في قوله:

كذبتم وبيت الله نُبزىٰ محمّداً ولمّا نطاعن دونه ونناظل
ونصرهُ حتّى نصرّعَ دونَهُ ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٣]

---

(١) السيرة الحلبية: ١ / ٥٠، طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٢) شرح النهج: ١ / ٢٩، ط ٢، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي ١٩٦٥م، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) شرح النهج: ١٤ / ٧٩.

فاستغفر رسولُ الله ﷺ له و لأبي طالب عليه السلام.

قال الغفاري: ماذا تفسّر إستغفار النبيّ ﷺ لعمّه؟!

ثمّ ماذا نفهم من قول أبي طالب: «كذبتم وبيت الله نبزى محمّداً»؟! فهل مثل أبي طالب عليه السلام مَن حامى الرسول ونصره ببذل المال والأنفس؟!

على اللبيب أن يعي ما تقدّم فحسب.

تاسعاً: بكاء النبيّ ﷺ علىٰ عمّه أبي طالب عليه السلام لمّا سمع نبأ وفاته

روى سبط إبن الجوزي عن إبن سعد في كتابه الطبقات: قال بالإسناد المتقدّم ـ وقد ذكره في الحديث السابق لهذا ـ حدّثني الواقدي قال: قال علي عليه السلام لمّا توفّي أبو طالب أخبرت رسول الله ﷺ فبكىٰ بكاءاً شديداً، ثمّ قال اذهب فغسّله وكفنّه وواره، غفر الله له، ورحمه.(١)

فقال له العباس: يا رسول الله إنّك لترجو له؟

فقال: إي والله، إنّي لأرجو له.

وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أيّاماً لا يخرج من بيته....(٢)

---

(١) تذكرة الخواص لإبن الجوزي: ص ١٩، والسيرة النبوية للحلبي: ١ / ٥٠، والسيرة النبوية لزيني دحلان على هامش السيرة، ١ / ٩٠.

(٢) تذكرة الخواص لسبط إبن الجوزي (ت ٦٥٤هـ): ص ١٩، مؤسسة أهل

هل هناك مندوحة من المؤمن أن يبكي على كافر...؟

إنّ بكاء النبيّ لعمّه والإستغفار له دليل شرعي يؤكّد لك إيمان أبي طالب عليه السلام.

ثمّ من المسلّمات أنّ الترحّم لا يصحّ إلّا على المسلم، ولأجل ذلك قال صلى الله عليه وآله: لسفّانة بنت حاتم الطائي لو كان أبوك مسلماً لترحّمنا عليه.(١)

عاشراً: شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا وقف على قبر عمّه أبي طالب عليه السلام:

«أمَ والله لأشفعنّ لعمّي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين».

ذكر هذا الحديث كلّ من:

الأميني في كتابه الغدير: ٧/ ٣٨٦.

إبن سعد في الطبقات الكبرىٰ: ١/ ١٠٥.

العلامة البيهقي في دلائل النبوة.

سبط إبن الجوزي في تذكرة الخواص: ص ١٠.

العلامة إبن أبي الحديد في شرح النهج: ٣/ ٣١٤.

إبن هشام في السيرة الحلبية: ١٠/ ٣٧٣.

إبن كثير في تاريخه: ٣/ ١٢٥.

البيت عليهم السلام، بيروت ١٩٨١م.

(١) السيرة الحلبية: ٣/ ٢٠٥.

إبن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/١١٦.

الحادي عشر: عليّ عليه السلام يرثي أباه

أبا طـالب عـصمة المسـتجير وغيث المحـول ونـور الظـلم
لقد هدّ فـقدك أهـل الحـفاظ فـصلّى عـليك ولي النـعم
ولقـــاك ربّك رضـــوانـــه فقد كنت للطهر من خير عـمّ

وقال عليه السلام يرثي أباه:

أرقت لطـير آخـر اللـيل غـرّدا
يـــذكّرني شـــجواً عـــظيماً مجـــدّداً
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى
جواداً إذا مـا أصـدر الأمـر أوردا
فـامست قـريش يـفرحـون بمـوته
ولست أرى حـيّاً يكـون مخـلّدا[1]

قال الغفاري: هل للكافر نور حتّى يستضاء بنوره؟!

هذا أمير المؤمنين علي عليه السلام سيّد المتّقين يصف أبا طالب أنّه نور الظلم، ثمّ يدعو له (صلّى عليك ولي النعم) فهل ترى للكافر مقاماً عند الله سبحانه حتّى يُصلّى عليه...؟ انتبه وتدبّر، وفّقك الله وهداك، فإنّ أبا طالب ملؤه إيماناً وتقىٰ....

---

(١) تذكرة الخواص لسبط إبن الجـوزي (ت ٦٥٤هـ): ص ١٨، مـؤسـسة أهـل البيت عليهم السلام، بيروت ١٩٨١م.

إنّ الميزان الذي يقاس به المرء هو رجحان عقله وثبوت إيمانه وسِعَةِ مداراته للناس، فالعقل والذكاء وحسن التدبير صفات لا يخلو منها الحليم، ولا تنعدم من الرجل النبيه، وكلّما تركّزت هذه السمات عند أحدهم تراه أليق بالسيادة وأجدر بالقيادة.

وأبو طالب عليه السلام ممّن اجتمعت فيه تلك الخصال العالية، والأخلاق السامية، والمحامد الشريفة، ممّا صيّرته سيّداً في قومه، يلجأ إليه الضعيف، ويهابُه ـ لمقامه ـ الشريف، ويفزع منه كلّ بطل صنديد، ويخافه كلّ جبّار عنيد.

كان أبو طالب عليه السلام ممّن خبر عن نبوّة إبن أخيه، وذلك قبل البعثة بعدّة عقود.

الفصل الخامس

الدليل العقلي على إيمان أبي طالب عليه السلام

لو استعرضنا سيرة أبي طالب عليه السلام لوجدنا فيها أدلّة عديدة ـ عقلية ـ تكشف لنا عن عقيدته وإيمانه الخالص بالله سبحانه، ستقف على بعضها في هذه الصفحات.

خاتَم أبي طالب عليه السلام

ممّا يستدل به علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام، ما ورد في دعوة النبيّ لعشيرته بعد ما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ والحادثة كما فصّلناها، فقد أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله برقبة الإمام علي عليه السلام وقال للقوم: هذا أخي ووصيّ وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب عليه السلام قد أمرك أن تسمع لإبنك وتطيع....

قال السيّد المدني: فإن قلت: من أين ثبت عندكم أنّ أبا طالب عليه السلام أذعن بذلك وقبل تأمير إبنه عليه؟

قلت: ثبت ذلك عندنا لِما رويناه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه

قال: كان نقش خاتم أبي طالب عليه السلام: «رضيت بالله وإبن أخي محمّد نبيّاً وبإبني عليّ له وصيّاً».(١)

أقول: ولا يحتاج المقام إلى شرح أو تعليق فتدبّر.

دعاء أبي طالب عليه السلام

لمّا كان من أمر الصحيفة وإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبر عمّه أبا طالب عليه السلام أنّ دابة الأرض أكلت الصحيفة الظالمة ولم يبق منها إلّا إسم الله سبحانه، فجاء أبو طالب مع لمّة من قومه وأخبر قريش، ولمّا فتحت قريش الصحيفة وجدت كما أخبرهم أبو طالب فأزدادوا بغياً، وقالوا هذا سحر إبن أخيك، وزادهم بغياً وعدواناً، فقال أبو طالب: معشر قريش على مَ نحصر ونحبس وقد بان الأمر، وقد تبيّن أنّكم أولى بالظلم والقطيعة، ثمّ دخل هو وأصحابه بين إستار الكعبة وقال: «اللّهم إنصرنا علىٰ من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحلّ ما يحرم عليه منّا ثمّ انصرف إلى الشعب».(٢)

قال الغفاري: إنْ لم يكن أبو طالب موحّداً فكيف يلوذ بالكعبة؛ بيت الله، ويدعو الله سبحانه أن ينتصف له ممّن ظلمه وقطع رحمه ...؟!

تدبّر أيّها المنصف، وانعم النظر في كلمات ودعاء أبي طالب المار الذكر.

---

(١) الدرجات الرفيعة: ص ٦٠.

(٢) الدرجات الرفيعة: ص ٤٧.

وفيما يخصّ دعاء أبي طالب عليه السلام:

أخرج إبن عساكر عن جلهمة بن عرفة قال قدمت مكّة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم لنستسقي، فخرج أبو طالب ومعه غلام كان وجهه شمس دجى، تجلّت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا، وأغدق، وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول أبو طالب عليه السلام.

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

قال الغفاري: إذا لم تكن لأبي طالب عقيدة خالصة بإبن أخيه وإنّه نبيّ لما أخرجه يطلب بوجهه الكريم مطر السماء ورحمة الله تعالى، إذاً ما عمل أبي طالب ذاك إلّا لإعتقاده الكامل بما يؤول إليه إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله وليكن هو أيضاً المحامي عنه والمدافع ولا يعمل ذلك إلّا من محّض بالإيمان.[1]

وأقول أيضاً: لو كان أبو طالب عليه السلام عابداً للوثن والصنم لتوسّل باللآت والعزّىٰ ومناة وهبل، وسائر الآلهة المنصوبة من قبل المشركين حول الكعبة....

---

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة لصدر الدين السيّد علي خان المدني (ت ١١٢٠هـ): ص ٤٢، طبعة بصيرتي، قم ١٣٩٧هـ.

ولما استمسك بمحمّد صلى الله عليه وآله وهو غلام، ولما جاء به وألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأصبعه وهو يشير نحو السماء وهو يشاركه في ذلك.

فماذا يدلّ هذا التوجّه؟! ألا يكون هذا العمل دافعه هو الإيمان الحقيقي، واليقين الذي انطبع عليه قلب هذا الشيخ أبي طالب...؟!

هذا أمر صريح نقلته كتب التاريخ والسيرة بلا منازع مؤكّدة إيمانه وتوحيده لله سبحانه.

فيما صنعه النبيّ صلى الله عليه وآله في أبي طالب عليه السلام بعد وفاته

ذكر اليعقوبي وفاة أبي طالب عليه السلام ثمّ قال: لمّا قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه، واشتدّ له جزعه، ثمّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثمّ قال: «يا عمّ ربّيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً فجزاك الله عنّي خيراً».(١)

وفي السنة التي توفّي فيها أبو طالب توفّيت فيها خديجة عليها السلام وقد سمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله ـ ذلك العام ـ بعام الحزن.

قال الغفاري: هل ترى فيما صنعه النبيّ صلى الله عليه وآله بعمّه ـ حيث مسح جبينه سبع مرّات ـ من عذر وجيه إن لم يكن قد مات على الإيمان؟!

ثمّ هل يصحّ له صلى الله عليه وآله أن يشتدّ جزعه على أبي طالب وهو على غير

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٥، ط دار صادر، بيروت ١٩٦٠م.

ملّة الإسلام؟! ثمّ ألا يلتفت أولئك المعاندون إلى دعاء النبيّ لعمّه حيث قال: «فجزاك الله عنّي خيراً»؟!

على الفطن اللبيب أن ينظر بعين الحقّ والإنصاف وإلّا سوف يقع في شَرَك المعاندين والمنافقين.

النبيّ صلى الله عليه وآله يكره الإقامة عند مشرك

لمّا كانت عودة النبيّ صلى الله عليه وآله من الطائف دخل مكّة بجوار المطعم بن عدي ليطوف بالكعبة، ثمّ ردّ عليه جواره لأنّه لم يسلم وقال: إنّي لأكره أن أقيم في جوار مشرك لأكثر من يوم وفي رواية: لثلاثة أيّام.

قال الغفاري: إذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله لا يستحل جوار المطعم بن عدي ليوم أو لثلاثة أيّام فكيف طابت نفسه أن يكون بجوار عمّه أبي طالب؟ أنّه كان بجواره قبل البعثة أكثر من ثلاثين سنة وبعد البعثة كان بجواره عشر سنوات؟!

لطالما أمسى وأصبح في بيت عمّه وهو يرتع وينعم في المأكل والملبس والمسكن، ولطالما حظى النبيّ صلى الله عليه وآله بالعناية والرعاية من عمّه والنبيّ صلى الله عليه وآله في غاية السرور والإبتهاج، وراحة البال، وفي إطمئنان كامل لأنّه في جوار عمّه وفي حمايته، فلم يصدر من النبيّ تذمّر أو أي نوع من أنواع الكره، بل كان سعيداً في كلّ تلك الأيّام، حتّى أنّه صلى الله عليه وآله تأسّف على فقده وكان يستصرخه بعد وفاته.

النار محرّمة علىٰ أبي طالب عليه السلام

روىٰ السيّد فخار بن معد بسنده إلىٰ علي بن أسباط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّي حرّمت النار علىٰ: صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، وأهل بيت آواك؛ فعبد الله بن عبد المطلب الصلب الذي أنزله، والبطن الذي حمله آمنة بنت وهب، والحجر الذي كفّله فاطمة بنت أسد، وأمّا أهل البيت الذي آواه فأبو طالب عليه السلام.

وفي خبر آخر يروي إبن معد الموسوي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ الله تعالى يقرئك السلام، ويقول لك: إنّي قد حرّمت النار على صلب أنزلك، وعلى بطن حملك، وحِجر كفلك، فقال: يا جبرئيل لمن تقول ذلك؟

فقال: أمّا الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله بن عبد المطلب. وأمّا البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب. وأمّا الحجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب، وفاطمة بنت أسد.

قال إبن معد: وعبد مناف بن عبد المطلب هو: أبو طالب عليه السلام فكيف يحرّم الله النار على هؤلاء المذكورين وهم به مشركون، وبوحدانيته كافرون، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.(١)

---

(١) النساء: ٤٧ و١١٥. ينظر: الحجة على الذاهب: ص ٧٥.

إذاً تعيّن أن أبا طالب كان مؤمناً موحّداً، صادقاً في عقيدته، ولكن أخفى إيمانه خوفاً على إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله فهو كمؤمن آل فرعون.

أقول: سوف يأتي البحث مفصّلاً في دليل الإجماع في الفصل القادم، وهو حلقة أخرى نَستكمل بها بحثنا المتقدّم في إيمان أبي طالب من خلال السُنّة، حيث أنّ البيان هنا متعلّق بالسيرة، والسيرة كما تعلم حاكمة فتدبّر.

حديث الشفاعة

إنّ حسد قريش أخذ يتزايد كلّما سما وعلا نجم النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، بل كلّما علا الإسلام وسطع نور النبوة في سماء الجزيرة العربية، بل كلّما امتدّ عزّ الدعوة إلى الله سبحانه في إرجاء المعمورة بكلمة لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، فكانت بنو أميّة أشدّ عداءً لهذه الأسرة الكريمة؛ أسرة النبيّ وآبائه وأجداده حتّى طفح هذا العداء لترمي آباء وعمومة النبيّ بالكفر والفجور، وأنّهم في جهنم كأبي طالب، وأمّا بنو أميّة وما ولدوا هم أسياد في الجنة، كهولهم وشبّانهم، وأنّ شفاعة النبيّ تشمل هؤلاء، بل وتسري شفاعته إلى اليهود والنصارى... أمّا شفاعته لأهل بيته ولأبويه وأجداده وأعمامه فذلك محذور عليهم، بل هم في ضحضاح من نار ـ كما زعموا ـ وفي ذلك وضعوا الأحاديث المختلقة كذبوا فيها على رسول السماء، وكذّبوا جبرئيل وسائر الملائكة، بل كذبوا على الله سبحانه وتعالى.

وربّما بحثت عن سبب هذا الكذب والإفتراء.

أقول: إنّ السبب لا يخفىٰ على كلّ لبيب حيث أنّ دولة بني أميّة وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان ـ الذي لعنهما الرسول في حياته ـ كانت بحاجة إلى إثبات شرعية حكمهم، وهذا لا يتمّ ما لم تنفَ الشرعية عن آباء النبيّ وأهل بيته وأعمامه، لذا عمد بنو سفيان ومنهم معاوية على خلق الأحاديث والكذب على الرسول لأجل تقوية سلطانهم من خلال رجال عُرفوا بالكذب والتزوير، أمثال: بُسر بن أرطاة، وسمرة بن جندب، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة الدوسي، وعمرو بن العاص، ومحمّد بن شهاب الزهري، وعروة بن الزبير، وحريز بن عثمان، وأبو بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، وحكيم بن العباس الكلبي واضراب هؤلاء بالعشرات.

وفي مقدّمة عملهم في الوضع والتزوير هو نفي الشرعية عن آباء النبيّ صلى الله عليه وآله وأعمامه، والسعي علىٰ أنّهم لا يمثّلون خطّ التوحيد في أبناء إسماعيل عليه السلام، فلو اعترفوا بحقّ بني هاشم لكان بنو عبد المطلب ورثة إبراهيم، وكان علي عليه السلام وارثهم الشرعي.

لهذا زعموا وأشاعوا أنّ عمّ النبيّ ـ أبا طالب ـ وأباه وجدّه ماتوا على الشرك ولا يوجد وارث للنبيّ صلى الله عليه وآله إلّا أبو بكر وعمر، أمّا علي عليه السلام فليس له التصدّي للخلافة لكونه يمثّل ثقل بني هاشم ولا تجتمع النبوة والخلافة فيهم!

وإن قريش تبغضهم[١]، والبعض ادّعى عدم صلاحيته لصغر سنّه! كلّ ذلك أشاعوه، وكمّوا الأفواه، ورفعوا السلاح بوجه من يخالفهم.

وممّا يخصّ حديث الشفاعة،ترى أنّ الاحداث تترىٰ والنبيّ صلى الله عليه وآله بين حين وآخر يؤكّد علىٰ منزلة بني عبد المطلب، حتّى أخبرهم مراراً وعلى مرأى ومسمع من المسلمين بأنّه سيشفع يوم القيامة لبني عبد المطلب، وبالخصوص لأبويه وعمّه أبي طالب عليه السلام؛ فما كان من حسّاد النبيّ وأسرته الكريمة إلّا أن يردّوا على النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته، وأشاعوا عدم شفاعته لهم!

روى الهيثمي أنّ العباس بن عبد المطلب جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّي انتهيت إلى قوم يتحدّثون، فلمّا رأوني سكتوا، وما ذاك إلّا لأنّهم يبغضونا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوقد فعلوها؟!

---

(١) جاء في نثر الدرر: أنّ عثمان بن عفان في خلافته قال لعلي عليه السلام: ما أصنع بكم إن كانت قريش لا تحبّكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين كأنّ وجوههم شنوف الذهب تشرب آنافهم قبل شفاههم.

نثر الدرر: ص ٢٥٩، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٩ / ٢٢، وقد عبّر أبو جهل المخزومي عمّا في صدره من حسد فطفح على لسانه، قال: كنّا وبني هاشم كفرسي رهان، نحمل أذا حملوا، ونظعن إذا ظعنوا، ونوقد اذا أوقدوا، فلمّا استوى بنا وبهم الركب قال قائل منهم: منّا نبيّ!

ثمّ أكّد أبو جهل هذا العداء بقوله: لا نرضى بذلك أن يكون -نبيّ- في بني هاشم، ولا يكون في بني مخزوم. أنظر: الدر المنثور: ٤ / ١٨٧، وتفسير القمي: ١ / ٢٧٦.

والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم حتّى يحبّكم، أيرجون أن يدخلوا الجنّة بشفاعتي، ولا يرجوها بنو عبد المطلب؟![1]

وروى الهيثمي قال: جلس النبيّ صلى الله عليه وآله على المنبر ساعة وقال: أيّها الناس ما لي أوذى في أهلي؟ فوالله إنّ شفاعتي لتنال حي حا، وحكم، وصدا، وسلهب يوم القيامة....[2]

نتابع حديث الشفاعة

روى المجلسي: أنّ عمر بن الخطاب لقى أمّ هاني بنت أبي طالب فقال لها: غطّي قرطك، فإنّ قرابتك من محمّد لا تنفعك شيئاً! فقالت له: هل رأيت لي قرطاً يا إبن اللخناء! ثمّ دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت.[3]

قال الهيثمي في قصّة أمّ هاني بسنده عن عبد الرحمن بن أبي رافع أنّ أمّ هاني بنت أبي طالب خرجت متبرّجة قد بدأ قرطاها، فقال لها عمر بن الخطاب: إعلمي فإنّ محمّداً لا يغني عنك شيئاً، فجاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرته به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام يزعمون أنّ شفاعتي لا تنال أهل بيتي؟! وإنّ شفاعتي تنال حا وحكم! وحا

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ٩/ ١٧٠، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ط ٣، ١٩٨٢م.

(٢) المصدر نفسه: ٩/ ٢٥٨.

(٣) البحار للمجلسي: ٩٣/ ٢١٩.

وحكم قبيلتان.[١]

أنظر إلى تدليس الراوي في هذه الرواية حيث ادعى تبرّج أمّ هاني في الوقت الذي كانت معروفة بإيمانها وتقواها وأنّ النبيّ ثأر لها فصعد المنبر وحذّر القوم من أن يؤذوه بأهل بيته.

ثمّ الرواية السابقة تكشف حقد الرجل واساءته لأمّ هاني لمّا قال لها غطّي قرطك... فأجابته أمّ هاني بشدّة و ردّت عليه بصرامة: هل رأيت لي قرطاً يا إبن اللخناء!

قال الغفاري: لَخِنَ: أنتن، ولَخِن الرجل: تكلّم بقبيح، ولَخِن كان منتن الجسد، واللَّخن: القبيح في القول والصفات. ولخنه قال له: يا إبن اللخناء وهو ذمّ، أي يا إبن القبيحة في أفعالها وصفاتها.

هذه أمّ هاني التي آمنت بالله وبرسوله منذ بدء الدعوة ترى في نظر عمر ـ مدعياً ـ أنّ الرسول لا يغني عنها شيئاً يوم القيامة... أمّا أبو سفيان زعيم الشرك والنفاق والذي سعىٰ بكلّ ما يملك على إطفاء نور الله ونور الإسلام بتجهيزه لجيوش الشرك والكفر، ومحاربة الرسول حتّى النفس الأخير، هذا وأمثاله ـ كما يزعمون ـ تنالهم شفاعة الرسول...؟!

يا للعجب من حسدهم وحقدهم ذاك!

روى المتّقي الهندي بسنده عن عمرو بن العاص: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

---

(١) مجمع الزوائد: ٩ / ٢٥٧.

إنّ لأبي طالب عندي رحماً سأبلها ببلالها[١] ومعنىٰ بلال الرحم: صلتها حتّى تروى....

قال الغفاري: إذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله لم يصل رحمه فمن الذي أولى به من وصلها؟!

قال إبن ماجه: بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يُصفُّ الناس يوم القيامة صفوفاً، وقال إبن نمير في أهل الجنة؛ فيمرّ الرجل من أهل النار على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة؟

قال فيشفع له. ويمرّ الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهوراً؟ فيشفع له. قال إبن نمير ويقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني في حاجة كذا وكذا فذهبت لك؟ فيشفع له.[٢]

قال الغفاري: ألا ترى في هذا الذي رووه أنّ مَن ـ هو من أهل النار ـ يقدّم شربةً لرجل من أهل الجنّة يكون شفيعه فيدخل معه الجنّة، وأنّ من يقدّم خدمة ولو بسيطة أو تافهة فيشفّع له.

هذا العمل الحقير لصغره، والبسيط في ذاته يكون سبباً لصاحبه في دخول الجنّة وهو من أهل النار والعذاب. وأبو طالب الذي أوقف حياته وحياة ولده من أجل النبيّ صلى الله عليه وآله ومن أجل رسالة السماء

---

(١) كنز العمال: ١٢ / ١٥٢ و١٦ / ١٠، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

(٢) سنن إبن ماجه: ١ / ١٢١٥، حديث ٣٦٨٥، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وتوحيد الله سبحانه فلا يدخل الجنّة، ولا يشفع له النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا كرامة له؟!

إنّه أمر عجيب. الويل لكم يا أهل الشنان والبغضاء، وأهل الحقد والحسد، علماً إنّ بعضهم قد أورد في حقّ أبي طالب الروايات والأحاديث الصحاح بنجاته، فأي ذمّة عند القوم! بل الحسد أنّه كاد يقتل صاحبه.

روى الهيثمي ـ بسنده ـ موقف عمر بن الخطاب وما قاله لصفية بنت عبد المطلب ـ عمّة النبيّ ـ قال: فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: يا بلال هجر بالصلاة، فهجر بلال بالصلاة فصعد المنبر صلى الله عليه وآله فحمد الله، وأثنى عليه ثمّ قال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع؟ كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي فإنّها موصولة في الدنيا والآخرة.(١)

وروى إبن الأثير بسنده عن شهر بن حوشب قال: أقام فلان ـ ويقصد معاوية ـ خطباء يشتمون علياً (عليه السلام) وأرضاه ويقعون فيه، حتّى كان آخرهم رجل من الأنصار أو غيرهم يقال له أنيس، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّكم قد أكثرتم اليوم في سبّ هذا الرجل وشتمه، وإنّي أقسم بالله أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّي لأشفع يوم القيامة لأكثر ممّا على الأرض من مدر وشجر، وأقسم بالله ما

---

(١) مجمع الزوائد: ٨ / ٢١٦، وفردوس الأخبار للديلمي: ٤ / ٣٩٩، حديث ٦٦٨٣.

أحدٌ أوصل لرحمه منه، أ فترون شفاعته تصل إليكم وتعجز عن أهل بيته.(١)

وممّا يؤكّد هذه الشفاعة ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنّ أناساً من بني هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي، وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذي جعله الله للعالمين عليها، فنحن أولىٰ به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب إنّ الصدقة لا تحلّ لي ولا لكم، ولكنّي قد وعدت الشفاعة، فما ظنّكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنّة أ تروني مؤثراً عليكم غيركم...؟!(٢)

ومن أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ عمّه:

سأله العباس: يا رسول الله! أ ترجو لأبي طالب؟

قال صلى الله عليه وآله بكلّ صدق وإطمئنان: «كلّ الخير أرجو من ربّي».

وأنّك ترى هذا النصّ في عشرات المصادر نذكر على سبيل الإختصار:

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير: ١ / ١٣٤، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تهذيب الأحكام: ٤ / ٥٨، حديث ١٥٤، طبعة دار الأضواء، بيروت. والكافي: ٤ / ٥٨، ط ٣، دار التعارف، بيروت ١٤٠١ هـ. وتفسير العياشي: ٢ / ٩٩، حديث ٧٥، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت. ونور الثقلين: ٢ / ٢٣٥، رقم ٢١٣، و٣ / ٢١٠، رقم ٤٠١، مطبعة الحكمة، قم.

شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي: ٣/ ٣١١.

تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ص ١٠.

معجم القبور للسيّد محمّد مهدي الموسوي: ١/ ١٨٩.

الغدير للعلامة الأميني (نقلاً عن طبقات ابن سعد)، أنظر كتاب العلامة: ٧/ ٣٧٤ و٣٨٧، وفيه مصادر أخرى، وأعيان الشيعة: ٣٩/ ١٣٦.

قال الغفاري: وحديث الشفاعة ورد في مصادر القوم بكثرة، فراجع وتدبّر.

سخرية القوم من رسول الله صلى الله عليه وآله

تفوّه بعض ـ ممّن له صحبة كما يزعمون ـ فقال: «ما محمّد إلّا كمثل نخلة نبتت في كناسة».

عن أبي ذر والمقداد وسلمان قالوا: قال لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إنّي مررت بفلان يوماً فقال لي: ما مثل محمّد في أهل بيته إلّا كمثل نخلة نبتت في كناسة![1] قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرت ذلك له، فغضب غضباً شديداً، فقام فخرج مغضباً، وصعد المنبر، ففزعت الأنصار، ولبسوا السلاح لمّا رأوا من غضبه، ثمّ قال: ما بال أقوام يعيرون أهل بيتي؟ وقد سمعوني أقول في فضلهم ما أقول،

---

(١) الكناسة: المزبلة.

وخصصتهم بما خصّهم الله تعالى به، وفضّل علياً عليهم بالكرامة وسبقه إلى الإسلام وبلائه، وأنّه منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي! ثمّ أنّهم يزعمون أنّ مثلي في أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في كناسة! ألا إنّ الله سبحانه وتعالى خلق خلقه وفرقهم فرقتين، وجعلني في خيرها شعباً، وخيرها قبيلة، ثمّ جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، حتّى حصلت في أهل بيتي وعشيرتي وبني أبي، أنا وأخي علي بن أبي طالب عليهما السلام.

ثمّ أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله يفصح عن أصله وطهارة محتده، ونسبه فقال: أنا خير النبيّين والمرسلين، وعلي خير الوصيين، وأهل بيتي خير بيوت أهل النبيّين، وفاطمة إبنتي سيدة نساء أهل الجنّة أجمعين.

أيّها الناس: أ ترجون شفاعتي لكم وأعجز عن أهل بيتي....

أيّها الناس: لو أخذت بحلقة باب الجنّة ثمّ تجلّى لي الله عزّ وجلّ، فسجدت بين يديه، ثمّ أذن لي في الشفاعة، لم أوثر على أهل بيتي أحداً....

أيّها الناس: عظّموا أهل بيتي في حياتي وبعد مماتي، وأكرموهم، وفضّلوهم، لا يحلّ لأحد أن يقوم لأحدٍ غير أهل بيتي، فأنسبوني من أنا؟!

قال: فقام الأنصار وقد أخذوا بأيديهم السلاح، وقالوا: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أخبرنا يا رسول الله من آذاك في أهل بيتك حتّى نضرب عنقه؟!!

قال صلى الله عليه وآله: أنا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، ثمّ انتهى بالنسب إلى

نزار، ثمّ مضى إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، ثمّ مضى منه إلى نوح، ثمّ قال: أنا وأهل بيتي كطينة آدم عليه السلام نكاح غير سفاح.

سلوني، والله لا يسألني رجل إلّا أخبرته عن نسبه وعن أبيه! فقام إليه رجل فقال: من أنا يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله: أبوك فلان الذي تدعىٰ إليه.

قال: فارتدّ الرجل عن الإسلام.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله والغضب ظاهر في وجهه: ما يمنع هذا الرجل الذي يعيب على أهل بيتي وأهلي وأخي ووزيري وخليفتي من بعدي وولي كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي، أن يقوم ويسألني عن أبيه، وأين هو في جنّة أم في نار.

قال: فعند ذلك خشي فلان على نفسه أن يذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ويفضحه بين الناس فقام وقال: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنّا عفى الله عنك، أقلنا أقا لك الله، استرنا سترك الله، إصفح عنّا جعلنا الله فداك.

فاستحيا النبيّ صلى الله عليه وآله وسكت، فإنّه كان من أهل الحلم وأهل الكرم، وأهل العفو ثمّ نزل صلى الله عليه وآله.(١)

قال الغفاري: لا يخفاك أنّ الرجل الذي قام إلى النبيّ عليه السلام وطلب منه العفو والصفح قد ذكره البخاري في باب (الغضب في الموعظة والتعليم)، وفي باب (من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدّث)

---

(١) كتاب الفضائل للنيسابوري: ص ١٣٤.

والرجل هو عمر بن الخطاب، قد ذكر البخاري عدّة روايات وحاول أن يبتر قصّة غضب النبيّ صلى الله عليه وآله وإليك واحدة من تلك الروايات، قال: عن أبي بردة عن أبي موسى قال: سئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن أشياء كرهها فلمّا أكثر عليه غضب، ثمّ قال للناس: سلوني عمّا شئتم! قال رجل: (إسمه عبد الله) مَنْ أبي؟ قال صلى الله عليه وآله: أبوك حذافة! فقام آخر فقال: مَن أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك سالم مولى شيبة! فلمّا رأى عمر ما في وجهه قال: يا رسول الله إنّا نتوب إلى الله عزّ وجلّ.

وفي رواية أخرى: فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً.(١)

قال الغفاري: هناك عدّة أسئلة:

أوّلاً: لماذا هذا الغضب الذي علا وجه الرسول صلى الله عليه وآله؟ أ لِسؤال فقط، أم ماذا؟

ثانياً: أ لم يَرد في نصوصهم -والتي عرفت بعضها الآن وقرأت- أنّه صلى الله عليه وآله هو الذي بادرهم بالقول سلوني، سلوني،...!

ثالثاً: قال البخاري: لقد أكثروا السؤال على النبيّ فغضب، وقد عنون الباب في (الغضب في التربية والتعليم) فهل هناك سنخية بين الغضب والتربية؟

رابعاً: أ لم يبعث النبيّ لأجل التعليم والتربية والهداية، فعلام هذا

---

(١) صحيح البخاري: ١ / ٣٢، كتاب العلم باب الغضب في الموعظة والتعليم وباب من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدّث. طبعة دار الجيل، بيروت (رحلي).

الغضب؟

خامساً: أ لم يصف القرآن الكريم أنّ النبيّ على خلق عظيم فأين ذلك الخلق من هذا الغضب؟

سادساً: ما هي الأسئلة التي سألوها فكانت مثار حفيظة النبيّ وغضبه؟

سابعاً: كيف أجاب النبيّ صلى الله عليه وآله بعض السائلين حتّى فضحه على رؤوس الأشهاد وأعلن للملأ أنّ هذا السائل ولد من أبٍ غير شرعي وتستّر على آخرين.

ثامناً: إذا كان السائل يبحث عن أصله وعموده النسبي ـ سواء كان سؤاله سخرية من النبيّ، أو تحدّياً لعلم النبيّ، أو كان حقيقة في طلب المعرفة ـ فعلام يتبرّع الخليفة عمر فيعتذر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، ويبرك أمامه، ويطلب العفو منه؟! وأنت عليم بما جاء فيه القرآن الكريم حيث قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؟!

تاسعاً: ثمّ أنّك تجد في حديث البخاري أنّ النصّ مبتور في عدّة مواضع بحيث لم يستقم المعنىٰ لكون الحادثة في قصّة، فأين هي فصول هذا الحدث الذي واجهه النبيّ بغضب شديد؟!

عليك أن تعرف أيّها القاريء الكريم كم كان أولئك أمناء علىٰ تراث النبيّ وأحاديثه!

فهذه واحدة من الأخبار والقصص التي تلاعب بها الرواة، وبتروا فصولها، وحذفوا نصوصها، حتّى كادت القضية تنصهر في بودقّة كذبهم وزورهم. والذي خفي علينا وعلى الناس آلاف من الإحداث

وآلاف من النصوص، فتدبّر.

من الأدلّة الأخرى: حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه أبي طالب عليه السلام

أجمع أهل السير والتاريخ والمفسّرون أنّ النبيّ كان يحبّ عمّه أبا طالب، وبالمثل كان أبو طالب يحبّ محمّداً حبّاً شديداً ويحنو عليه، والكلّ يشهد مواقف أبي طالب ودفاعه المستميت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن الإسلام، هذان أمران لا نقاش فيهما قط....

قال الغفاري: إنّ هذا الحبّ كان متبادلاً بين العمّ وإبن أخيه على مستوى غير قابل الإنفكاك، وهذا يدلّ على إيمان أبي طالب، وذلك إن لم يكن أبو طالب مؤمناً فلا يجوز للنبيّ أن يحبّه ذلك الحبّ الذي شهد به الخاص والعام، حتّى أن قريش أرهبها ذلك، وأمّا المسلمون فهم كذلك أشفقوا من ذلك الحبّ الذي كان يكنّه النبيّ لعمّه. ثمّ إنّ الله سبحانه وتعالى قد نهى عن حبّ الكافرين في قوله وعزّ من قائل: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.[1]

فمعنى يوادون: يحبّون. يقال: وددت فلاناً أودّه وداً إذا أحببته. والنبيّ صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يرتكب ما نهاه الله عنه من حبّ الكفار.

فثبت أنّ أبا طالب ـ لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّه فهو ـ مؤمن

---

(١) المجادلة: ٢٢.

بحسب الآية من سورة المجادلة.

ثمّ من جانب آخر لم يرد في تاريخ المسلمين ولا في جميع كتبهم أنّ أبا طالب كان يُناوي‌ء الرسول، أو يبغضه، أوكان مسيئاً لله ولرسوله، وعلى هذا فإنّ محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه أبي طالب لم تكن محبّة لكافر، بل هي محبّة لمن محّض في الإيمان.

وأمّا المصادر التي أكّدت حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه فهي كثيرة منها:

الإستيعاب لإبن عبد البرّ: ٢ / ٥٠٩.

ذخائر العقبى لمحبّ الدين الطبري: ص ٢٢٢.

مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ٢٧٣، باب ما جاء في عقيل بن أبي طالب عليه السلام.

تاريخ الخميس: ١ / ١٦٣.

بهجة المحافل عماد الدين يحيىٰ العامري: ١ / ٣٢٧.

شرح النهج للمعتزلي: ٣ / ٣١٢.

هذه المصادر، وغيرها كثيرة، ذكرت أخباراً وأحاديث تنصّ على محبة النبيّ لعمّه أبي طالب، فراجع.[1]

---

(١) الغدير: ٧ / ٣٧٧ و٣٨٧. والإستيعاب: ٣ / ١٠٧٨، رقم ١٨٣٤، طبعة نهضة، مصر. وتذكرة الخواص سبط إبن الجوزي: ص ٢٢، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت ١٩٨١م. ومعجم القبور: ٢٠٢.

حبّ الرسول صلى الله عليه وآله للرجل دليل على صلاحه وإيمانه

روى أحمد بن حنبل في مسنده قال: حدّثنا عبد الله حدّثني أبي، حدّثنا أسود بن عامر قال: حدّثنا جرير يعني إبن حازم قال: سمعت الحسن قال: قال رجل لعمرو بن العاص أ رأيت رجلاً مات، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّه، أليس رجلاً صالحاً؟

قال: بلىٰ....[1]

قال الغفاري: فما بالك في محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه أبي طالب؟ ألا يعني أنّ أبا طالب رجل صالح؟!

وألا تدلّ نصرته للرسول على صلاحه وإيمانه؟! فاحكم إن كنت تنصف إيّها الحكم!

قصّة تخفيف العذاب عن أبي لهب الكافر لأنّه أعتق ثويبة مولاته لمّا بشّرته بمولد النبيّ صلى الله عليه وآله

روى القسطلاني في المواهب اللدنية بسنده قال: لقد رُؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك؟ فقال: في النار إلّا أنّه خفّف عن كلّ ليلة إثنين، وأمصّ من بين أصبعي هاتين ماء، وأشار برأس أصبعه، وإنّ ذلك باعتاقي لثويبة، عند ما بشّرتني بولادة النبيّ صلى الله عليه وآله وبإرضاعها له.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٤/٢٠٣، ط دار الفكر، بيروت.

قال إبن الجَزري فإذا كان هذا أبو لهب الكافر الذي أنزل القرآن بذمّه جُوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبيّ صلى الله عليه وآله به فما حال المسلم الموحّد من أمّته عليه السلام الذي يسرّ بمولده....[١]

قال الغفاري: إذا كان حال أبو لهب الكافر أنّه يخفف عنه العذاب كلّ ليلة إثنين لا لشيء إلّا لأنّه فرح بمولد محمّد صلى الله عليه وآله فما بالك بعمّ النبيّ صلى الله عليه وآله: الذي لولاه لما استقام للدين شخصاً، ولما شيّد للهدىٰ صرحاً، ولألفيت الناس في ضلالهم يهيمون، وفي الذلّ والكفر قابعون. ألا يستحقّ أبو طالب الفوز بالجنّة...؟!

روى القسطلاني حديث الرسول صلى الله عليه وآله: «لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات». رواه الطبراني في الصغير ثمّ قال: ولا ريب أن أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله إن لم يتب عندنا.[٢]

قال الغفاري: لقد عرفت من مصادر القوم، بل من جميع مصادر المسلمين أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يحبّ عمّه أبا طالب كثيراً، وقد بكىٰ عليه لمّا سمع نبأ وفاته، وحزن عليه حزناً شديداً، فهل التعرّض إلى أبي طالب بسوء يفلح فاعله، أم أنّه يدخل في عموم قوله لا تؤذوا الأحياء...، ولا ريب أنّ التعرض لأبي طالب كما يفعله القوم فيه أذىً للنبيّ صلى الله عليه وآله وعلى قول القسطلاني من يؤذي الرسول فهو كافر يستحقّ فاعله القتل إن لم يتب.

---

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني: ١/ ٢٧.

(٢) المواهب اللدنية: ١/ ٣٦.

الفصل السادس

شهادة كبار الصحابة

العباس بن عبد المطلب

قال إبن أبي الحديد: روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: إنّ أبا طالب ما مات حتّى قال: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله. والخبر مشهور أنّ أبا طالب عليه السلام عند الموت قال كلاماً خفياً أصغى إليه أخوه العباس بإذنه، وقال للنبيّ صلى الله عليه وآله: والله يا إبن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمد لله الذي هَداك يا عمّ.[1]

---

(١) البداية والنهاية تاريخ أبي الفداء، إبن كثير: م ٢ ج ٣/ ١٥١ـ١٥٦، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت. وشيخ الأبطح: ٧١ و٧٣، والأعيان: ٨/ ١١٤ـ١٢٦، طبعة دار التعارف، بيروت (رحلي).

أبو بكر بن أبي قحافة

قال أبو بكر: إنّ أبا طالب عليه السلام ما مات حتّى قال: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله.(١)

وفي حديث أبي بكر، إذ جاء بأبيه: أبي قحافة يقوده، وقد أسن وعمي، ليسلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الرسول: ألا تركت الشيخ حتّى نأتيه!

قال أبو بكر: أردت يا رسول الله أن يأجرني الله ....

ثمّ أضاف: أمّا والذي بعثك بالحقّ لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب منّي بإسلام أبي.

وفي رواية الشبراوي الشافعي قال أبو بكر: والذي بعثك بالحقّ لإسلام أبي طالب كان أقرّ لعيني من إسلامه ـ أي إسلام أبي قحافة ـ وذلك أنّ إسلام أبي طالب كان أقرّ لعينك.(٢)

وجاء في الهامش: إنّ هذا الخبر ذكره القاضي عياض في الشفاء.(٣)

هذا الحديث يثبت لنا أنّ إسلام أبي طالب قد سبق إسلام أبي قحافة والد أبي بكر.

---

(١) شيخ الأبطح: ص ٧١. وأعيان الشيعة: ٣٩/١٣٦. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/٧١.

(٢) الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ٩، المطبعة الأدبية، بمصر. وتاريخ الإسلام للذهبي: ١/١٣٩.

(٣) ينظر: شرح الشفاء لشهاب الدين الخفاجي: ٣/٣٩٥.

أبو الجهم بن حذيفة[١]

سئل أبو الجهم بن حذيفة: هل صلّى النبيّ ﷺ على عمّه أبي طالب عليه السلام، فأجاب السائل: وأين الصلاة يومئذ، إنّما فرضت الصلاة بعد موته وموت خديجة، ولقد حزن عليه رسول الله ﷺ... الخ.

أبوذر الغفاري

في تفسير وكيع من طريق أبي ذر الغفاري أنّه قال: والله الذي لا إله إلّا هو ما مات أبو طالب عليه السلام حتّى أسلم بلسان الحبشة؛ قال لرسول الله ﷺ: اتفقه الحبشة؟

قال يا عمّ: إنّ الله علّمني جميع الكلام.

قال يا محمّد: «اسدن لمصاقا قاطالاها». يعني أشهد مخلصاً (لا إله إلّا الله) فبكىٰ رسول الله ﷺ وقال: إنّ الله أقرّ عيني بأبي طالب عليه السلام.

رواه الأميني عن ضياء العالمين للشريف أبي الحسن الفتوني، مخطوط عند الشيخ رحمه الله.[٢]

---

(١) أبو الجهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي، قيل إسمه عامر، وقيل عُبيد، كان من مشايخ قريش وزعمائها، واحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب، وكان من المعمّرين، قال إبن سعد: مات في آخر خلافة معاوية. ينظر: الإصابة: نسب قريش ٢٦٩، والأعلام: ٤/ ١٧.

(٢) الغدير: ٧/ ٤٤٢.

عبد الله بن عباس

سأل رجل إبن عباس، فقال له: يا إبن عمّ رسول الله أخبرني عن أبي طالب عليه السلام هل كان مسلماً؟

فقال: نعم، وكيف لم يكن مسلماً، وهو القائل وأنشد بيتاً من شعره.

ثمّ قال: إنّ أبا طالب كان مثله مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان، وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين.(١)

حسان بن ثابت

فيما قاله حسان بن ثابت الشاعر:

فـــإذا نـــدبتم هـــالكاً فـــابكوا الوفي أخـــا الوفي

قال سبط إبن الجوزي: يعني حمزة وأبا طالب عليهما السلام.(٢)

---

(١) الحجة على الذاهب: ٤٠٨.

(٢) تذكرة الخواص: ص ٣١. ومؤمن قريش: ٢٧.

شهادة علماء المذاهب

قيل للأحنف بن قيس التميمي[١]: من أين اقتبست هذه الحِكَم وتعلّمت هذا الحلم؟

فقال: من حكيم عصره، وحليم دهره قيس بن عاصم المنقري.[٢]

ولقد قيل لقيس: حلم مَن رأيت فتحلّمت، وعلم مَن رويت فتعلّمت؟

فقال: من الحليم الذي لم تحلّ قط حبوته، والحكيم الذي لا تنفذ قط حكمته، أكتم بن صفي التميمي.[٣]

ولقد قيل لاكثم: ممّن تعلمت الحكم، والرياسة، والحلم، والسياسة؟

فقال: من حليف الحلم والأدب، سيّد العجم والعرب، أبي طالب إبن عبد المطلب.

أقول: مَن كان من حكماء العرب وأسيادهم وحلمائهم يقتدون به،

---

(١) وقيل إسمه الضحاك سيد تميم، ولد في البصرة وأدرك النبيّ ولم يره، شهد صفّين مع الإمام علي عليه السلام، وقد سُئل معاوية عنه فقال: هذا الذي إذا غضب غضب له مائة ألف لا يدرون فيم غضب توفّي بالكوفة، سنة ٧٢هـ.

(٢) قيس هذا يكنّى أبا علي، أحد أمراء العرب والموصوفين بالحلم والشجاعة كان شاعراً بارزاً وسيّداً في الجاهلية، وفد على النبيّ صلى الله عليه وآله في وفد تميم سنة ٩هـ فاسلم فقال صلى الله عليه وآله لمّا رآه: هذا سيد أهل الوبر، واستعمله على صدقات قومه، توفّي في البصرة سنة ٢٠هـ.

(٣) هو حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمّرين، أدرك الإسلام وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق ولم ير النبيّ صلى الله عليه وآله.

وينهلون من حِكَمه وكلماته فكيف يكون هذا الحكيم كافراً مجافياً للحقّ؟!

وهل الحلم والأدب والحكمة إلّا هو إتباع الحقّ والتصديق برسالات السماء؟!

فكيف يختار أبو طالب عليه السلام الكفر ـ الذي لا يختاره إلّا الحمق والأغبياء والجهلاء ـ على الإيمان الذي لا يختاره إلّا عاقل لبيب حكيم حليم؟!

الشعبي

قال الشعبي: لمّا قعدت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله بالموسم، وزعموا أنّه ساحر، قال أبو طالب عليه السلام في ذلك:

زعمت قريش أنّ أحمد ساحر
كذبوا وربّ الراقصات إلى الحرم
ما زلت أعرفه بصدق حديثه
وهو الأمين على الحرائب والحرم[1]

وقال الشعبي ـ برواية العلامة الفتوني وسبط إبن الجوزي ـ: لما توفّي أبو طالب عليه السلام رثاه علي عليه السلام فقال:

---

(١) ذكر البيتين الكراجكي في كنز الفوائد.

أرقت لطـير آخـر اللـيل غـرّدا
يـذكّرني شـجوا عـظيما مجـدّدا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى
جواداً إذا مـا أصـدر الأمـر أوردا
فـامست قـريش يـفرحـون بمـوته
ولست أرى حـيّا يكـون مخـلدا
أرادوا أمـوراً زيّـنتها حـلومهم
سنوردهم يوماً مـن الغـي مـوردا
يـرجـون تكـذيب النـبيّ وقـتله
وان يـفترى قـدماً عـليه ويجـحدا
كـذبتم وبـيت الله حـتّى نـذيقكم
صـدور العـوالي والحسـام المـهنّدا
فأمّـا تـبيدونا وأمّـا نـبيدكم
وأمّا تـروا سـلم العشـيرة أرشـدا
وإلّا فـان الحـي دون محـمّد
بـني هـاشم خـير البريـة محـتدا[1]

أثبت الشعبي صدق إيمان أبي طالب من خلال شعره في النبيّ ﷺ ففي البيت الثاني من الميميّة صريح قوله عليه السلام:

«ما زلت أعرفه بصدق حديثه»، «وهو الأمين»

---

(١) تذكرة الخواص لسبط إبن الجوزي: ص ٦، ط إيران ١٢٨٥هـ.

ليت شعري ماذا تعني كلمته الغراء المتقدّمة؛ وماذا بعد ذلك العرفان...؟

ثمّ قول ولده علي وهو يرثيه، هل كان الإمام عليه السلام يحابي أحداً على دينه وإيمانه؟ فهل يصحّ له أن يرثيه ويؤبّنه ويحزن عليه لو كان أبوه مات كافراً؟!

وقد عرفت من سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه لا تأخذه في الله لومة لائم، فلو كان أبوه مات كافراً لما أبّنه ولا حزن عليه، فافهم.

الزبير بن بكار

قال الزبير بن بكار: لم يكن أحد من قريش يَسود في الجاهلية إلّا بمالٍ غير أبي طالب عليه السلام، وهو أوّل من سنّ القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة، ثمّ أثبتتها السنّة في الإسلام، وكانت السقاية بيده فسلّمها إلىٰ أخيه العباس، وكان أكرم قريش نفساً، وأسخاهم يداً وكان يباشر جبر ما انكسر من مواشيه وأنعامه، فإذا جاء الوافد وهبها له مع رعاتها.

المأمون العبّاسي

تظافر النقل عن المأمون العباسي أنّه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

أذُبُّ وأحمِي رسولَ الإلٰهِ حمايةَ حامٍ عليه شفيقِ

وما إنْ أدِبُّ لأعدائِه دبيبَ البِكار حذار الفَنيق
ولكن أزيرُ لهم سامياً كما زارَ ليث بغيل مضيق[١]

المبرد

روى أبو أيوب اللّغوي فقال: أراني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني النسابة نسخة عتيقة من كتاب (الكامل) للمبرّد وفيها بعد ذكر أبي طالب في بعض الأبواب: وأسلم أبو طالب وحسن إسلامه، وصدّق رسول الله ﷺ في كلمته، وله شأن عجيب لا يحتمله أهل بغداد، فممّا صدّقه فيه ﷺ قوله:

إذهب بُني فما عليك غضاضة وأبشر بذاك وقرّ منك عيونا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى أوسّد في التراب دفينا[٢]

إلى آخر الأبيات وقد ذكرناها في شعره، فراجع.

الثعلبي

ذكر الثعلبي في تفسيره لسورة الأنعام آية ٢٦، في سياق تفسيره أورد الأبيات النونية لأبي طالب التي يقول فيها:

---

(١) شرح النهج للمعتزلي: ١٤ / ٧٤. والحجة على الذاهب: ٢٥٦. والدرجات الرفيعة: ٥٤. وديوان أبي طالب عليه السلام: ٢٤.

(٢) الحجة على الذاهب: ص ٢٨٩ و٢٩٤، طبعة دار الزهراء عليها السلام.

وذكرت ديناً قد علمت بأنّه من خير أديان البريـة ديـنا

قال: إنّه قد إتّفق على صحّة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب: مقاتل وعبد الله بن عباس والقسم بن محيصرة وعطاء بن دينار.(١)

أبو عمرو الزاهد؛ محمّد بن عبد الواحد الطبري

أورد إبن طاووس خبر (العَوَر) ومعناه اللغوي من كتاب أخبار الطبري اللغوي، أبي عمرو عن أبي العباس أحمد بن يحيى بن تغلب عن إبن الأعرابي الذي ذكرناه في فصول كتابنا هذا.

وكأنّما أراد أبو عمرو أنّ يفصح عن المذمّة التي لحقت أبا لهب وكان الذام له أبو طالب، وقد ترضّى عليه المصنّف وساق حـديثه، أي حديث أبي طالب مع النبيّ صلى الله عليه وآله فخاطبه: قم يا سيّدي فتكلّم بما تحبّ وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق.(٢)

ثمّ عقّب إبن طاووس على الخبر فقال: ولو لم يكن لأبي طالب عليه السلام إلّا هذا الحديث وأنّه سبب في تمكين النبيّ صلى الله عليه وآله من تأدية رسـالته وتصريحه بقوله: وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق، لكـفاه شاهداً بإيمانه وعظيم حقّه على أهـل الإسـلام وجـلالة أمـره في الدنيا....(٣)

---

(١) الطرائف لإبن طاووس: ص ٣٠٢، مطبعة الخيام، قم ١٤٠٠ هـ.

(٢) الطرائف لإبن طاووس: ص ٣٠٠، مطبعة الخيام، قم ١٤٠٠ هـ.

(٣) المصدر نفسه.

علي بن حمزة البصري

قال إبن حجر: رأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب عليه السلام، ويزعم أنّه كان مسلماً، ومات على الإسلام....[١]

إبن أبي الحديد المعتزلي

قال إبن أبي الحديد: واختلف الناس في إيمان أبي طالب عليه السلام؛ فقالت الإمامية وأكثر الزيدية: ما مات إلّا مسلماً.[٢]

وقال: قال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك، منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرهما.[٣]

ثمّ قال: وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعامّة من شيوخنا البصريين وغيرهم: مات على دين قومه.

وبعد ذلك يشير إلى أنّ أبا طالب قال: أنا على دين عبد المطلب.[٤]

أقول وممّن قال بإيمان أبي طالب عليه السلام كلّ من:

---

(١) بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب ١/٣٢٤.

(٢) شرح النهج للمعتزلي: ١٤/ ٦٥.

(٣) المصدر السابق: ١٤/ ٦٦.

(٤) المصدر السابق: ١٤/ ٦٦.

البلخي والإسكافي وإبن الفضل والواسطي والآمدي

ثمّ قال إبن أبي الحديد المعتزلي: إنّ من جملة من قال: بأنّ أبا طالب عليه السلام مات مسلماً: الشيخ أبا القاسم البلخي، وأبا جعفر الإسكافي وهما من شيوخ المعتزلة وأعلامهم...[١] وقال العلامة الفتوني في ضياء العالمين: إنّ منهم الحسن بن الفضل، وعلي بن أبي المجد الواسطي، وأبا بشر الآمدي كما يظهر من كلامهم.

ثمّ قال: وقد قال إبن الأثير في كتاب جامع الأصول: ما أسلم من أعمام النبيّ صلى الله عليه وآله غير حمزة، والعباس، وأبي طالب عند أهل البيت.[٢]

أقوال علماء المذاهب

قال إبن أبي الحديد: فأمّا الذين ليسوا بمعطّلة من العرب فالقليل منهم، وهم المتألّهون، أصحاب الورع والتحرّج عن القبائح، كعبد الله، وعبد المطلب، وإبنه أبي طالب، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقسّ بن ساعدة الأيادي، وعامر بن الظرب العدواني، وجماعة غير هؤلاء.[٣]

يعرّف لنا إبن أبي الحديد معنى (المتألّهون) بعد ما ساق أنواع العبادات عند العرب... فقال: وقسم قليل منهم هم المتألّهون، أي هم

---

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ١٤/٦٦.

(٢) جامع الأصول لإبن الأثير.

(٣) شرح النهج: ١/ ١٢٠، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي ١٩٦٥م.

أهل التوحيد، الذين يؤمنون بوحدانيّة الخالق، ومن صفات هؤلاء: الورع والتحرّج عن القبائح، فعدّ منهم جماعة وكان ـ كما قال ـ منهم عبد الله وعبد المطلب وأبو طالب عليهم السلام ...، الذي تعهّد بتربية النبيّ صلى الله عليه وآله فكفّله يتيماً وآواه ونصره.

تناقض في كلام إبن أبي الحديد

فيما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة».(١) وأشار بأصبعه صلى الله عليه وآله. قال إبن أبي الحديد: إنّما عنىٰ به أبا طالب.(٢)

قال الغفاري: غير أنّ إبن أبي الحديد بعد كلّ تلك الأدلّة والشواهد يقول فأمّا أنا فإنّ الحال ملتبسة عندي والأخبار متعارضة، ثمّ بعد صفحة من قوله هذا يقول: وصنّف بعض الطالبين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب وبعثه إليّ وسألني أن أكتب عليه بخطّي نظماً أو نثراً، أشهد فيه بصحّة ذلك وبوثاقة الأدلّة عليه، فتحرّجت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً، لما عندي من التوقّف فيه، ولم استجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإنّي أعلم أنّه لولاه لما قامت للإسلام دِعامة.

واعلم أنّ حقّه واجب على كلّ مسلم في الدنيا إلىٰ أن تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر المجلد:

ولولا أبــو طــالبٍ وإبــنه لما مِثّل الدين شـخصاً فـقاما

---

(١) شرح النهج للمعتزلي: ١٤ / ٦٩.

(٢) المصدر السابق.

فـذاك بمكّـة آوى وحـامىٰ وهـذا بـيثرب جسّ الحِـماما
تكـفّل عـبدُ مـنافٍ بأمـرٍ وأودى فكـان عـليٌّ تمـاما

ثمّ قال:

ومـا ضرُّ مجـدَ أبي طـالب جهول لَغَا أو بـصير تـعامىٰ

قال الغفاري: أنظر إلى ما صدر إليه ـ الرجل بعد توقّفه ـ من القول والإعتراف في حماية أبي طالب للرسول صلى الله عليه وآله وكفالته له منذ صغره حتّى بلغ من العمر خمسين عاماً.

وإنّك تجد عبارات وفقرات بل صفحات عديدة في كتابه شرح نهج البلاغة فيها الحمد والثناء على أبي طالب، صفحات فيها تمجيد وتقدير، فهو ينتقل ـ إبن أبي الحديد ـ من مأثرة إلى أخرى يؤكّد فيها على صدق إيمان أبي طالب عليه السلام، ويجعله في طائفة المؤلّهين، الموحّدين وهو القائل: إنّ هؤلاء يحمدون ويثنىٰ عليهم لأنّ الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم، ووفّقهم لها، والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء آلة مستعملة، ووسائط تجري الأفعال على أيديهم فحمدهم والثناء عليهم، والإعتراف لهم، إنّما هو بإعتبار ذلك، قيل لكم في شأن أبي طالب مثله.[1]

بل تجد في تلك الصفحات التي شحنها بالإجلال والتقدير لأبي طالب عليه السلام أنّه كان يردف إسمه غالباً بكلمة (عليه السلام)، إنّها كلمة اختصّت بالأنبياء والأوصياء والأولياء ومن لهم عصمة في

---

(١) شرح النهج: ١ /٤٧.

القول والعمل، فماذا تفسّر هذا النعت الذي كان يلازم إسم أبي طالب؟!

إنّ الكاتب ـ إبن أبي الحديد ـ على يقين تامّ من إيمان أبي طالب، ولا أدري كيف ختم كلامه بعد صفحات عديدة ليقول فإنّ الحال ملتبسة عندي وما هذا كلامه الأخير إلّا نوع من الإضطراب والتدليس إن لم نقل أنّه خضع لتأثير مغرض أو حسود أو منافق...

أمّا سبب توقّفه حيث قال: فإنّ الحال ملتبسة عندي ويقف في صدري رسالة النفس الزكية إلى المنصور وقوله فيها: «فأنا إبن خير الأخيار، وأنا إبن شرّ الأشرار، وأنا إبن سيد أهل الجنّة، وأنا إبن سيّد أهل النار».

قال إبن أبي الحديد: فإنّ هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر...

ثمّ قال: وجملة الأمر أنّه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيّنتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقّف، فأنا في أمره من المتوقّفين.

قال الغفاري: لقد أورد الطبري نصّ كتاب أبي جعفر المنصور الدوانيقي والردّ عليه من قبل محمّد بن عبد الله الملقّب بذي النفس الزكية.[1]

وسند هذين الكتابين: محمّد بن يحيى قال: نسخت هذه الرسائل

---

(١) تاريخ الطبري: ٧ / ٥٦٦، تحقيق محمّد أبوالفضل، بيروت.

من محمّد بن بشير، وكان بشير يصحّحها، وحدّثنيها أبو عبد الرحمن من كُتّاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار، وسمعت إبن أبي حرب يصحّحها ويزعم أنّ رسالة محمّد لما وردت على أبي جعفر، قال أبو أيوب المورياني دعني أجبه، فقال أبو جعفر، لا بل أنا أجيبه عنها، إذ تقارعنا على الأحساب فدعني وإيّاه.(١)

والرسالتان جاءتا في تاريخ إبن الأثير (الكامل).(٢)

وإليك الفقرة التي تبجّح بها إبن أبي الحديد، وهي من قول ذي النفس الزكية ـ كما يزعمون ـ يخاطب بها المنصور الدوانيقي.

(... فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتّى إختار لي في الأشرار فأنا إبن أرفع الناس درجة في الجنّة وأهونهم عذاباً في النار ولك الله علي إن دخلت في طاعتي... إلى آخر الرسالة).

تنبيه وبيان

جعل المحقق لكتاب الكامل، الدكتور عمر عبد السلام تَدمري العبارة: فأنا إبن أرفع الناس... جعلها في قوسين ثمّ أشار في الهامش من الصفحة ١١٦ أنّها، أي العبارة، من نسخة (ب) كما أشار إلى تاريخ الطبري في ٧/٥٦٨ ثمّ قال: زيادة بعدها: «وأنا إبن خير الأخيار،

---

(١) تاريخ الطبري: ٧/٥٦٦.

(٢) الكامل في التاريخ: ٥/١١٦، دار الكتاب العربي، ط ٢، بيروت ١٩٩٩م.

وإبن خير الاشرار، وإبن خير أهل الجنّة، وإبن خير أهل النار».[١]

قال الغفاري: إنّ الدكتور عمر عبد السلام ـ المحقق لكتاب الكامل ـ اعتمد في تحقيقه ثلاثة نسخ:

١ ـ الطبعة الاوربية التي نُشِرت بين سنتي ١٨٥١ و١٨٧١م وهي النسخة التي أشرف عليها المستشرق (كارلوس يوهنس تورنبرغ) وهي طبعة متميّزة أعتمدت على مخطوطات باريس، وبرلين، والمتحف البريطاني، واسطنبول، ومخطوطة (شفري) و(راولنسن).

٢ ـ الطبعة المُنيرية في مصر.

٣ ـ طبعة دار صادر في بيروت.

أنظر: كلمة المحقق صفحة آ.

ثمّ أشار إلى النسخ الخطيّة بالرموز الآتية:

نسخة (كلّية تايلور)، رمز إليها بحرف (ت).

نسخة (راولنسن)، رمز إليها بحرف (ر).

نسخة (برلين)، رمز إليها بحرف (ب).

أنظر مقدّمة الكتاب ص ٥.

من خلال هذا العرض نقف على عدّة حقائق، منها:

١ ـ إنّ النسخ الخطيّة لكتاب الكامل وبالخصوص (نسخة برلين) لم توجد فيها العبارة التي أشار إليها إبن أبي الحديد فيما نقله من كلام محمّد ذي النفس الزكية، بل توجد العبارة هكذا: حتّى اختار لي في

---

(١) المصدر نفسه.

الأشرار، ولك الله علي إن دخلت في طاعتي... إلى آخر كلامه.

٢ـ إنّ العبارة التي أضيفت فيما بعد أنّها توجد في النسخ المطبوعة دون الخطيّة.

٣ـ نسخة دار صادر المطبوعة تجد عبارات الرسالة مضطربة مفككّة، لا يجمعها الكلام البليغ، في الوقت الذي عرف الناس جميعاً بلاغة بني هاشم، صغيرهم وكبيرهم.

فأين هذه الكلمات من خطبهم البليغة التي ذهبت بها الركبان؟!

٤ـ كما لا يخفاك أنّ الطبري ذكر الرسالة في تاريخه، وقد أشار المحقق (محمّد أبوالفضل) إلى أنّ الرسالة قد ذكرها المبرّد في كامله[١]، أنظر هامش تاريخ الطبري ٥٦٨/٧ إذاً مصدر الرسالة المفتعلة هي الكامل للمبرّد، وهذا معروف ببغضه لأهل البيت عليهم السلام.

٥ـ إذا عرفت كلّ الذي تقدّم، تبيّن لك أنّ الرسالة مجعولة ومفتعلة على محمّد ذي النفس الزكية، ودليلنا في هذا، أضف إلى ما تقدّم النقاط الآتية:

آ ـ إضطراب النصّ الوارد والمزعوم أنّه من كلام محمّد ذي النفس الزكية، وقد تقدّمت منا الإشارة إلى ذلك الإضطراب.

ب ـ عدم الردّ على عبارات هذه الرسالة من قبل المنصور، في الوقت الذي نشاهده، أنّ رسالة المنصور الجوابية خالية من التشهير أو الانتقاص من نسب ذي النفس الزكية.

---

(١) الكامل للمبرد: ١١٣/٤ـ١١٦.

ج ـ أورد إبن الأثير نصّاً يكشف لنا حقيقة مهمّة أخرى فقال: وكان المنصور يكتب إلى محمّد على ألسُن قوّاده يدعونه إلى الظهور ويُخبرونه أنّهم معه، فكان محمّد يقول: لو التقينا مال إليّ القوّاد كلّهم.(١)

هذا النصّ يكشف لك أنّ المنصور قد اختلق عدّة رسائل مِن والىٰ محمّد ذي النفس الزكية، وبهذا لم يبق لدينا أي نصٍّ ـ من الرسائل المنسوبة إلى محمّد ـ يسلم من الخدشة، فهي من مفتريات المنصور الدوانيقي الذي عُرف بعدائه الشديد لَبني علي وفاطمة عليهم السلام.

د ـ ولو رجعنا إلى سند رواة هذه الرسالة فلم نجد أحداً رواها، بل كانت مكتوبة، ولم يعلم من كتبها، وبخطّ مَن، ومتى كتبت، وبيد مَن أُرسلت، فقد وجدت هكذا مكتوبة معنونة إلى المنصور الدوانيقي والدوانيقي ردّ عليها....

إنّك ترى أمراً واضحاً للعيان كوضوح الشمس في رابعة النهار أنّها رسائل مختلقة، فهي من إنشاء طاغية العصر (أبو جعفر المنصور العباسي)....

فهل يبقىٰ بعد كلّ هذا وذاك من عذرٍ لإبن أبي الحديد حتّى يقول في أبي طالب: أنا في أمره من المتوقّفين...؟!

لقد أورد عشرات الأدلّة في إيمان أبي طالب ومع ذلك يتوقف من خلال رسالة مفتعلة مزوّرة؟

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥ / ١١١.

أنّه لعجيب أمره، وماذاك إلّا العناد القاتل، وجرياً وراء النزعات النفسية إرضاء لسادات المدرسة العمرية، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

إبن الأثير

قال إبن الأثير في جامع الأصول: وما أسلم من أعمام النبيّ صلى الله عليه وآله غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام.(١)

علماء المذاهب

ممّا يؤيد شهادة العلماء السابقين: علماء آخرون كالقرطبي والسبكي والشعراني والبرزنجي. قال زيني دحلان: وممّا يؤيّد هذا التحقيق الذي حقّقه البرزنجي في نجاة أبي طالب أنّ كثيراً من العلماء المحققين وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب منهم القرطبي والسبكي والشعراني وخلائق كثيرون، وقالوا هذا الذي نعتقده وندين الله به، وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي، فقد اتّفق معهم على القول بنجاته، فقول هؤلاء الأئمة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالى، لا سيّما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتها العلامة البرزنجي.(٢)

---

(١) الغدير، للأميني: ٧/ ٤١٠.

(٢) أسنى المطالب: ص ٦١ وص ٨٢.

العلامة القرافي

جاء في شرح التنقيح للقرافي، عند قول أبي طالب عليه السلام:

وقد علموا أنّ إبننا لا مكذّب لدينا

ولا يـــعزى لقـــول الأبـــاطل

قال: إنّ هذا تصريح باللسان، وإعتقاد بالجنان، وإنّ أبا طالب ممّن آمن بظاهره وباطنه، غير أنّه كفر ظاهراً ولم يذعن للفروع.

وأجيب بأنّه لم يذعن ظاهراً خوفاً من أن قريش لا تقبل حمايته، ولَيُوهم على قريش أنّه على دينهم....[1]

المحقق السحيمي وأبو طاهر

ورد سؤالٌ إلى جمع من علماء السنّة من بينهم السحيمي في شأن إيمان أبي طالب عليه السلام، ماذا يقول العلماء الأعلام، في هدم قبر أبي طالب عليه السلام؟ وقد ذكر السائل أنّ عدّة من أئمة المذاهب وعلماء السنّة كالسبكي والقرطبي والشعراني كانوا يعتقدون بإيمان أبي طالب عليه السلام ونجاته.

فجاء الجواب من السحيمي بعد نقله ذلك فقال: وهذا هو الذي اعتقده وألقىٰ الله به.

ثمّ أورد عدّة آيات تنصّ على إحترام العترة الطاهرة، ووجوب

---

(١) أبوطالب عليه السلام بطل الإسلام: ص ١٣٩.

المودّة لهم ﴿قُلْ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ...﴾ ثمّ قال: وفي شرح الشهاب لإبن وحشي قال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر بالله عزّ وجلّ.(١)

علماء آخرون يقولون بإيمان أبي طالب عليه السلام، منهم:

المالكي والتلمساني وإبن وحشي الحنفي والاجهوري

ذكر أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بإبن وحشي في شرحه على الكتاب المسمّى بشهاب الأخبار للعلامة محمّد بن سلامة القضاعي المتوفّى سنة ٤٥٤هـ: إنّ بغض أبي طالب كفر.

ثمّ قال: ونصّ على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة علي الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته على الشفاء، فقال عند ذكر أبي طالب: لا ينبغي أن يذكر إلّا بحماية النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذيّة للنبيّ صلى الله عليه وآله ومؤذي النبيّ كافر، والكافر يقتل.

وممّن قال بنجاة أبي طالب وإيمانه: القرطبي والسبكي والشعراني والسيوطي والسحيمي وأبو القاسم البلخي وأبو جعفر الأسكافي.(٢)

---

(١) أسنى المطالب: ص ٨٢.

(٢) أسنى المطالب: ص ٦٠.

الفخر الرازي

أورد الفخر الرازي في تفسيره الكبير في مساق تفسير الآية ٥٦ من سورة القصص ما نقله الزجاج من كلامٍ لأبي طالب وهو يخاطب قومه ويدعوهم إلى إطاعة النبيّ محمّد ﷺ وتصديقه،... ثمّ ما جرى بين النبيّ ﷺ وعمّه في صدد النطق بالشهادة، فقال أبو طالب للنبيّ: سوف أموت على ملّة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف....

أودع الرازي في تفسيره فصول هذا الحوار وما قاله البعض من أنّ الآية (٥٦) نزلت في أبي طالب عليه السلام. ثمّ في خاتمة بحثه قال: هذه الآية لا دلالة في ظاهرها على كفر أبي طالب عليه السلام.[١]

سبط إبن الجوزي

لقد صرّح سبط إبن الجوزي بإيمان أبي طالب فقال: كون أبي طالب عليه السلام من أهل الجنّة ما لا ينبغي التأمّل فيه، وأنّ شواهده أكثر من أن تذكر، منها: إهتمامه بكفالة النبيّ المختار ونصرته له، وإهتمامه بدفع إذى الأشرار والكفّار عنه، وجزع النبيّ ﷺ عند موته، وتسمية عامه بعام الحزن لموته وموت خديجة، وإستغفاره له في طول أيّام، ولا يرتاب إستجابة دعائه لا سيّما مع الإصرار....[٢]

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ٢ / ٥ ـ ٢٥.

(٢) تذكرة الخواص: ١٠.

ويتابع سبط إبن الجوزي فيقول: وأيضاً لم يؤرخ أحد من أعدائه استياء ولده بأنّ أباك من الكفار، هذا معاوية أعدى أعدائه ومنازعيه، وهذا عمرو بن العاص، وهذا عبد الله بن الزبير، وهذا مروان، وغيرهم، مع قدحهم فيه عليه السلام، وإسنادهم ورميهم إليه ما هو بريء منه وما عابوه وما شنّعوا عليه بذلك وهو عليه السلام يذكّرهم بكفر الآباء والأمّهات، ورذالة النسب، وما قابلوه بالمثل. بل هذا أقوى شاهد على إسلامه....[١]

عبد الواحد السفاقسي

قال السفاقسي في شرح البخاري: إنّ في شعر أبي طالب عليه السلام هذا دليلاً على أنّه كان يعرف بنبوّة النبيّ الكريم قبل أن يبعث لما أخبره به (بَحيرا الراهب) وغيره من شأنه، مع ما شاهده من أحواله، ومنها الإستسقاء به في صغره، ومعرفة أبي طالب بنبوة النبيّ جاءت في كثير من الأخبار.[٢]

---

(١) المصدر السابق: ١١.

(٢) أمالي الصدوق: ١٥٨.

أبو الفداء إسماعيل بن علي الشافعي

قال أبو الفداء في تاريخه (المختصر في أخبار البشر): توفّي أبو طالب عليه السلام في شوّال سنة عشرة من النبوّة، ولمّا اشتدّ مرضه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عمّ قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة ـ يعني الشهادة ـ فقال له أبو طالب: يابن أخي لولا مخافة السبة وأن تظن قريش إنّما قلتها جزعاً من الموت لقلتها. فلمّا تقارب من أبي طالب الموت جعل يحرّك شفتيه، فأصغى إليه العباس بإذنه وقال: والله يابن أخي قال الكلمة التي أمرته أن يقولها ـ يعني لا إله إلّا الله ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحمد لله الذي هداك يا عمّ».[1]

ثمّ أورد أبو الفداء من شعر أبي طالب ما يدلّ على أنّه كان مصدّقاً للرسول صلى الله عليه وآله منها قوله:

ودعوتني وعلمت أنّك صادق ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا
ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمّدٍ مِن خيرِ أديانِ البريّةِ دِينا
والله لَنْ يَصلوا إليك بجمعِهم حتّى أوسّد في التراب دَفينا

نتابع شهادة علماء المذاهب على إيمان أبي طالب عليه السلام، منهم:

القسطلاني، إبن التين، إبن إسحاق وعلي بن حمزة

نقل العلامة أحمد بن محمّد بن أبي بكر القسطلاني في كتابه المواهب

---

(١) المختصر: ١ / ١٢٠، ط مصر، ١٣٢٥هـ.

اللدنية بعد ذكره لأبيات من لامية أبي طالب قال: قال إبن التين إنّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنّه كان يعرف نبوة النبيّ صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث لما أخبره به (بَحيرا) وغيره من شأنه.

وتعقّبه الحافظ أبوالفضل إبن حجر بأنّ إبن إسحاق ذكر أنّ إنشاء أبي طالب لهذا الشعر كان بعد البعثة، ومعرفة أبي طالب بنبوّته صلى الله عليه وآله جاءت في كثير من الأخبار وتمسّك بها الشيعة في أنّه كان مسلماً.

قال: ورأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب وزعم أنّه كان مسلماً وأنّه مات على الإسلام، وأنّ الحشوية تزعم أنّه مات كافراً واستدلّ لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى.(١)

جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)

روى السيوطي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بُعِثْتُ ولِي أربعةُ عمومةٍ، فأمّا العباس فيكنّى بأبي الفضل إلى يوم القيامة، وأمّا حمزة فيكنّى بأبي يعلىٰ فأعلى الله قدره في الدنيا والآخرة، وأمّا عبد العزّىٰ فيكنّى بأبي لهب فأدخله الله النار، وألهبها عليه، وأمّا عبد مناف فيكنّى بأبي طالب، فله ولولده المطاولة والرفعة إلى يوم القيامة.(٢)

---

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمّدية للخطيب القسطلاني: ١/ ٣٧، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ٦/ ٤٠٩، محمّدوعلي وبنوه الأوصياء عليهم السلام: ٢/ ١٨٩.

عبد الرحمن الإدريسي المغربي

قال السيد علي خان المدني: سُئل العارف بالله السيد الجليل مولانا السيد عبد الرحمن بن أحمد الحسيني الإدريسي المغربي نزيل مكّة المشرّفة والمتوفّى سنة سبع وثمانين وألف (١٠٨٧هـ)؛ وكان من أرباب الحال وأقطاب الرجال سئل عن إسلام أبي طالب فأملى ما صورته: إعلم قرّبك الله منه ورزقك كمال الفهم منه أنّ أبا طالب عليه السلام قد قال بإيمانه جمع من أهل الكشف والشهود، ووردت أحاديث تشهد بإسلامه أوردها الحافظ إبن حجر في الإصابة، وتكلّم عليها وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ جبرئيل عليه السلام أتىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: إنّ الله يبشّرك ببشارة، فقال: إنّ الله لا يعذّب صلباً أنزلك، وبطناً حملك، وحِجراً كفلك. قال صلى الله عليه وآله: بيّن لي يا جبرئيل: فقال عليه السلام: أمّا الصلب فهو عبد الله، وأمّا البطن فهي آمنة، وأمّا الحجر فهو أبو طالب عليه السلام.(١)

قال السيد المدني: أورد هذا الحديث المحبّ الطبري في (ذخائر العقبىٰ)، قال السيوطي في (المسالك): وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر عن إبن عباس، أخرجه أبو نعيم، وفيه التصريح بأنّ الأخ من الرضاعة، وأخرج الشيخ عبد الوهاب الشعراني حديثاً بأنّ الله تعالى أحيىٰ أبا طالب عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله انتهى. وإنّما نقلنا هذا الكلام

---

(١) الدرجات الرفيعة: ص ٥٨.

على هذا الوجه ليعلم أنّ محققي الصوفية وافقونا على إسلامه أيضاً.(١)

رأي البرزنجي الشافعي (١١٠٣ هـ) وأئمة الأشاعرة

استعرض المرحوم السيد أحمد زيني دحلان مفتي الديار في مكّة المشرّفة جملة من براهين العلامة البرزنجي في إثبات إيمان أبي طالب عليه السلام ثمّ كان يعقّب البرزنجي بعد كلّ دليل ما يناسبه من الكلام فمن ذلك قال: فلولا أنّه مصدّق بدينه لما رضي لإبنيه أن يكونا معه وأن يصلّيا معه، بل ولا كان يأمرهما بالصلاة فإنّ عداوة الدين أشدّ العداوات كما قيل:

كلّ العداوات قد ترجىٰ أماتتها
إلّا عداوة من عاداك في الدين

فهذه الأخبار كلّها صريحة في أنّ قلبه طافح وممتليء بالإيمان بالنبيّ صلى الله عليه وآله.(٢)

ثمّ قال بعد صفحات: وهذا الذي اخترناه من كون نجاة أبي طالب لما كان عنده من التصديق الكافي في النجاة في الآخرة هو طريق المتكلّمين من أئمّتنا الأشاعرة وهو ما دلّت عليه أحاديث الشفاعة وأحاديث الشفاعة كثيرة وكلّها فيها التصريح بأنّها لا تنال مشركاً

---

(١) الدرجات الرفيعة: ص ٥٨.

(٢) أسنى المطالب، للسيد أحمد زيني دحلان: ص ١٧.

وقد نالت الشفاعة أبا طالب....[١]

قال السيد البرزنجي: فالظاهر أنّ أبا طالب كان على ملّة آبائه ـ ملّة إبراهيم عليه السلام ـ ولو عبد أبو طالب صنماً يلزم أن يكون أوّل من أشرك من هذه السلسلة المباركة، والأصل عدم ذلك، فهو تبع لعبد المطلب في كلّ أحواله من مكارم الأخلاق، وحماية الذمار والرياسة، حتّى خرج من الدنيا وهو على ملّة عبد المطلب، وهذا هو الذي أشار إليه أبو طالب لمّا قال لكفار قريش وهو على ملّة عبد المطلب، فخاطبهم بكلام مجمل له محمل صحيح يخرجه عن الشرك، ويدخله في زمرة الموحّدين، لما استعلمه من مناقب عبد المطلب الدالّة على أنّه كان موحّداً، وعمّىٰ عليهم الأمر ليبقىٰ جاهه وحمايته عندهم.[٢]

أحمد الهبراوي الحلبي (١٢٢٤ هـ)

روى العلامة الشافعي الشيخ عبد الله بن محمّد الشبراوي قال: قال أحمد الهبراوي الحلبي المتوفّى سنة ١٢٢٤هـ بمدينة حلب في ترجمة علي عليه السلام في كتابه (فتح الرحمن)،... كان أبوه عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله محبّاً له، راداً عنه ضرر قريش، وما نالت قريش من النبيّ صلى الله عليه وآله ما نالت إلّا بعده، ثمّ ذكر أبياته النونية....[٣]

---

(١) أسنى المطالب: ص ٢٩.

(٢) أسنى المطالب.

(٣)

وراوده النبيّ صلى الله عليه وآله حين دنت منه الوفاة على الإسلام والحّ عليه، ولقّنه كلمة التوحيد، وقال له يا عمّ قلها ولو في أذني. وفي رواية أنّ العباس بشّر النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه حرّك بها شفتيه، وذكر بعض أهل الكشف أنّ الله أحياه للنبيّ صلى الله عليه وآله بعد موته وآمن به كأبويه....[1]

الآلوسي

ذكر الألوسي في سياق تفسير الآية (٥٦) من سورة القصص: فقال: إن مساق الآية لتسلية النبيّ صلى الله عليه وآله حيث لم ينجع في قومه الذين يحبّهم، ويحرص عليهم أشدّ الحرص إنذاره عليه الصلاة والسلام إيّاهم، وما جاء به إليهم من الحقّ، بل اصرّوا على ما هم عليه، وقالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسىٰ، ثمّ كفروا به وبموسىٰ عليهما الصلاة والسلام، فكانوا على عكس قوم هم أجانب عنه صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال: ومسألة إسلامه ـ إسلام أبي طالب ـ خلافيّة، وحكاية إجماع المسلمين أو المفسّرين على أنّ الآية نزلت فيه لا تصحّ، فقد ذهب الشيعة وغير واحد من مفسّريهم إلىٰ إسلامه، وادّعوا إجماع ائمة أهل البيت عليهم السلام على ذلك، وإنّ أكثر قصائده تشهد له بذلك،

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسّد في التراب دفينا

إلى آخر الأبيات.

(١) الإتحاف بحبّ الأشراف للشيخ عبد الله الشبراوي: ص ١١، طبعة مصر، المطبعة الأدبية.

وكأنّ من يدّعي إجماع المسلمين لا يعتد بخلاف الشيعة، ولا يعوّل على رواياتهم.[١]

العلامة أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية

قال مفتي الشافعية في أسنى المطالب: «أنّ بغض أبي طالب كفر».

ثمّ قال: ونصّ على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة علي الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته على الشفا، فقال: عند ذكر أبي طالب: لا ينبغي أن يذكر إلّا بحماية النبيّ ﷺ، لأنّه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذية للنبيّ ﷺ، ومؤذي النبيّ ﷺ كافر، والكافر يقتل.

وقال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر، والحاصل أنّ إيذاء النبيّ ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل وإن تاب، إلى أن قال: قال العلامة الدحلاني: إنّ كثيراً من العلماء المحققين، وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف، قالوا: بنجاة أبي طالب منهم القرطبي، والسبكي، والشعراني، وخلائق كثيرون، وقالوا هذا الذي نعتقده وندين الله به... ثمّ قال: فقول هؤلاء الائمة بنجاته اسلم للعبد عند الله تعالى.[٢]

قال العلامة زيني دحلان الشافعي بعد أن ذكر أبيات أبي طالب

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي: ٢٠ / ٨٤.

(٢) أسنى المطالب: ٦٠ و٦١.

ومنها:

ألم تـعلموا إنّـا وَجَـدنا محـمّداً
نبيّاً كـموسىٰ خُـطَ في أوّل الكـتبِ

قال: وهذا الشعر إذا تأمّله المنصف رآه محض الإقرار بالنبوة والإعتراف بالرسالة.

هذا البيت من قصيدة لأبي طالب قالها في زمن محاصرة قريش لهم في الشعب، وهي قصيدة طويلة بليغة غرّاء تدلّ غاية محبّته للنبيّ صلى الله عليه وآله، وعلى التصديق بنبوته، وشدّة حمايته له، والذبّ عنه.(١)

وقال المرحوم السيد زيني دحلان: ... إنْ قلنا أنّه لم ينطق بها ـ أي الشهادة بالتوحيد ـ وإنّ ترك النطق بها معصية من كبائر المعاصي، وإنّ عذره في ترك النطق بها لا يمنع من صحّة الإيمان، لكنّه لا ينفي كون ذلك الترك معصية، أو نطق بها ولم يسمعها النبيّ صلى الله عليه وآله فلم يعتدّ بها فكأنّه ما نطق بها، وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حضر أبا طالب عند الموت وعنده أبو جهل وعبد الله بن أميّة المخزومي، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أي عمّ قل (لا إله إلّا الله) كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أميّة يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ فلم يزالا يردّانه حتّى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم: هو على ملّة عبد المطلب، وأبىٰ أن يقول لا إله إلّا الله.

---

(١) أسنى المطالب، زيني دحلان: ص ١٠، ط مصر، ١٣٠٥هـ. وأنظر: السيد محمّد البرزنجي (١١٠٣هـ) في كتابه الذي ألّفه في نجاة أبوي النبيّ صلى الله عليه وآله.

ويعقب السيد زيني دحلان فيقول: وفي رواية: لمّا تقارب من أبي طالب الموت نظر إليه العباس فرآه يحرّك شفتيه فأصغى إليه بأذنه فسمع منه الشهادة، فقال للنبيّ ﷺ: يابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرّح العباس بلفظ لا إله إلّا الله.

قال السيد دحلان: فعلى تسليم عدم الإعتداد بنطقه هـذا، وإنّ الحديث ضعيف ـعند المنكرينـ فنقول هو كافر بإعتبار أحكـام الدنيا، وأمّا عند الله فهو مؤمن ناج ممتليء قلبه إيماناً بدليل ما تقدّم عنه.

ممّا يدلّ على ذلك أنّه يمكن أنّ عدم نطقه بحضور أبي جهل وعبد الله بن أميّة حرصاً منه على بقاء الحفظ للنبيّ ﷺ وصيانته من أذيّتهم له بعد وفاته، لأنّه كان يرى أنّه إذا أظهر لهم أنّه على دينهم تبقى حرمته وتعظيمه عندهم بعد وفاته، فلا ينال النبيّ ﷺ منهم أذى، وإذا كان هذا قصده كان معذوراً، فتكون إجابته لهما بما أجابهم به مداراة لهما لئلا ينفرهمـا خشية أن يؤذوا رسول الله ﷺ بعد وفاته، أنّه يمكن الجمع بين إمتناعه ـلحضور زعماء المشركين عنده وهما أبو جهل وعبد الله بن أميّةـ ونطقه بأن امتنع بحضورهما مداراة لهما فلما انطلقا وذهبا نطق بهما، وأصغى إليه العباس، فسمعه ينطق بها، ولهذا قال في الحديث السابق ما كلّمهم به، يعني أبا جهل ومن كان معه، ولم يقل آخر ما تكلّم به مطلقاً، فدلّ على أنّ قوله هو على ملّة عبد المطلب دليل على أنّه على التوحيد، لأنّ عبد المطلب كان على التوحيد كبقيّة آبائه ﷺ، كما حقّق ذلك جلال الدين السيوطي وغيره في رسائل

متعددة، فأبْهَم أبو طالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهراً، وهو يعلم أنّ عبد المطلب كان على التوحيد.[١]

وقال زيني دحلان بعد صفحات: ولم ينقل عن أبي طالب أنّه اتخذ صنماً إلهاً أو عبد حجراً أو نهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن عبادة ربّه، غايته أنّه ترك النطق بالشهادتين أو ترك بعض الواجبات، ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبيّ صلى الله عليه وآله ومثل هذا ناج في الآخرة على مقتضى ديننا، فلا يليق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الغرّاء ولا بقواعد الأئمة من أهل الكلام أن يكون هو وآزر عمّ إبراهيم في قرن واحد حاشا من كرم الله تعالى. قال حسان:

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

فإنّ أبا طالب ربّاه صغيراً، وآواه كبيراً، ونصره ووقّره، وذبّ عنه، ومدحه بقصائد غرر، ورضي بإتباعه....[٢]

عبد العزيز سيد الأهل

قال عبد العزيز سيد الأهل: ... أمّا بنو عبد مناف وبنو زهرة انضووا جميعاً تحت لواء أبي طالب، ولم يكن لهم شأن بالألهة والأصنام... ثمّ قال: واشترط أبو طالب عند بناء الكعبة أن لا يدخل في بنائها لبنة ولا طينة إلّا من كسب طيّب، ولا ينفق عليها من كسب

---

(١) أسنى المطالب لزيني دحلان: ص ٣٧، ط ٢.

(٢) أسنى المطالب: ص ٤٨.

امرأةٍ بغي، ولا من ربحٍ جاء من ربا، ومالٍ كانت فيه مظلمة لأحدٍ من الناس، ولا يرش على طينها ماء إلّا في أناء مطهّر، ولا يحمله إلّا كلّ كريم شريف.(١)

في هذا الخبر يصرّح المؤلف أنّ جميع بني عبد مناف وبني زهرة ـأي قريشـ هم تبع لأبي طالب، وهو زعيمهم على وجه الإطلاق بعد أبيه عبد المطلب، ثمّ كونه لم يسجد لصنم ذاك ما صرّح به أيضاً.

ويروي لنا عبد العزيز سيد الأهل قصّة الصحيفة التي كتبتها قريش ضد بني هاشم قال: وكتبت صحيفة الميثاق من هذا المجتمع الشتيت، ودفعت إلى الحكم بن هشام، فحملها ومضى بها يشدّها بحبل إلى جوف الكعبة لتكون في حراسة هُبل، إله الأهلة العظيم، جاء فيها: لا يُشترى من بني هاشم وبني عبد المطلب، ولا يباع، ولا تخطب فتاة منهم لفتى منّا، ولا فتاة منّا لفتى منهم، ولا يُكلّم أحد منهم ولا يسمع له، ولا يُدخل عليهم بشيء من الرفق حتّى يُسلموا محمّداً، ولا يؤمّن داخل منهم بمكّة إلّا في الموسم، وألقت قريش على كلّ رجلٍ منها عبئا، وجعلت العيون على الثغور، فإذا نزلت مكّة تجارة في الموسم لم يترك لأهل الشعب أن يشتروها، بل تشتريها قريش مهما غلت أثمانها، وإنْ لم تكن في حاجة إليها، حتّى يموت أهل الشعب محاصرين.

وأمّا أبو لهب فقد تبرّع أن يلقى القبائل في السوق ويمنع سِلَعها أن

---

(١) أبو طالب عمّ النبيّ، للسيد عبد العزيز سيد الأهل: ص ١٧.

تباع لأهل الشعب، ويشتري هو طعام الموسم إن لم يشتره أحدٌ ويغلي ثمنه لئلا يجد أبو طالب وقومه ما يأكلون.

وسهر القائد الحكيم في الشعب على الشعب وأهله، ولم يكن فيه من يضِنُّ به ويفكر فيه أعظم من محمّد، وجعل أبو طالب يُسهل هضبة كلّ مطلب للمحاصرين إذا توعّر، ويُصفي كدرة الزمان كلّما تكدر، ويوزّع من الطعام على من يفرغ طعامه، ومن اللباس على من يتمزّق ثوبه، فإذا فرغ الناس من هذا وذاك، وفرغ هو وفرغت خديجة أيضاً، دار عليهم بالصبر يدعو إليه والجلد يحثّ عليه، حتّى حلا لهم الجوع والعذاب حلاوة ذاقوا فيها شبع الجنّة وتملأوا تملأ الفردوس.(١)

ثمّ يقول: ولم يكن هذا الطعام وهذا اللباس همّ أبي طالب، ولا همّ محمّد، ولا همّ بني هاشم وبني المطلب، فما من أجل الطعام والشراب دخلوا الشعب، وما من أجل التجارة لجأوا إليه، ولو كان مطلبهم الخبز وسلعة التجارة لرضوا بالهزيمة، أو رضوا بالغنيمة حين عرضت عليهم أكرم العروض، ولكنّهم لجأوا إلى الشعب ودعاهم أبو طالب إليه يحمي رسول الله صلى الله عليه وآله ويحمي دينه فكيف يحميه؟

عليه وحده أن يفكّر، وعليه وحده أن يدبّر، وعليه وحده أن يحتفظ بسرّ التكفير والتدبير، وكان عليه أن يستمر ويدأب ويسهر

---

(١) أبو طالب شيخ بني هاشم، لعبد العزيز سيد الأهل: ص ٧١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥١م.

ويأرق، لأنّ النصر والهزيمة تحت أخمص القائد....

ثمّ يواصل عبد العزيز سيد الأهل كلامه في سيرة أبي طالب إلى أن يقول: وطلب أبو طالب إلى النبيّ أن يغدو إلى فراشه كلّ ليلة مبكّراً قبل أن يلجأ الناس جميعاً إلى فُرُشهم حتّى أهل بيته كي يراه الناس جميعاً في فراشه وآوىٰ إلى مضجعه، ونام الناس جميعاً وهدأ الشعب في سكون الليل وسكون النوم ولف الشيخ الهرم خفيفا متمهّلا على أطراف قدميه فأيقظ النبيّ وأخذه إلى فراش غير الذي نـام فـيه، وجعل في فراش النبيّ أحداً من أبنائه أو أخوته أو بني عمّه، فإذا حدّثت أحداً نفسه بشرٍّ لم يهتدِ إليه. وجعل أبو طالب يغيّر موضع النبيّ ومرقده، ويكتم ذلك على الناس جميعاً فلا يعرفه أحد.

وقد يغيّر للنبيّ موضعاً وموضعين في الليلة الواحدة لئلاّ يعلم أحد ممّن ناموا في مرقده أين هو؟

يفعل ذلك كلّ ليلة لا يسأم ولا ينسى، ثلاث سنين فيها مئات طوال من الليالي والأيّام، ضمر فيها الأطفال والصبيان حتّى سمعت أصوات بكائهم من الجوع حزينة حرّىٰ، وأبو طالب لا يفعل ذلك فحسب، وإنّما يغنّي بشعره في رسول الله ﷺ وفي قريش فيقول:

كذبتم وحقّ الله نُبزىٰ محـمّداً ولمّا نطاعن دونـه ونـناضل
ونسلمه حتّى نـصرّع حـوله ونذهل عن أبنائنا والحـلائل

ثلاث سنين فيها مئات طوال من الليالي والأيّام ردّ فيها أبو طالب عوالي الرماح حين اشتجرت، وصبر على الضيم فلم يُضم ولم يخترم، وفي مثل ما صبر عليه أبو طالب تضام رجاحة الجبال وتخترم صدور

الأسود.[١]

نهاية المطاف

محاججة في قياس

ادّعىٰ جمعٌ من أهل الخصوم: إنّ فرعون من أهل الإيمان، ودليلهم في ذلك أنّه قال لمّا أدركه الغرق: «آمنت أن لا إله إلّا الذي آمنت به بنو إسرائيل».[٢]

قال الغفاري: وقد ردّ القرآن الكريم هذه الدعوى: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.[٣]

وادّعى الآخرون: أنّ حاتم يدخل النار لكفره ولكن لا يعذّب مطلقاً لجوده.

وهكذا ادّعوا: أنّ كسرى أنوشيروان لا يعذّب لعدله.

ثمّ ادّعوا: أنّ أبا لهب يخفّف العذاب عنه يوماً في الأسبوع في كلّ يوم إثنين.[٤]

ولا أدري كيف يعقل هذا المصنّف واضرابه أنّ أبا لهب يخفّف عنه العذاب في كلّ يوم إثنين من كلّ أسبوع... ولأي شيء؟

---

(١) أبو طالب شيخ بني هاشم لعبد العزيز سيد الأهل: ص ٧١ـ٧٤.

(٢) ينظر: أبو طالب بطل الإسلام للسيد حيدر العرفي: ص ٧٣، ط ١، ١٩٩٠م.

(٣) سورة يونس: ٩١.

(٤) ينظر: فتح الباري: ٩/ ١١٤.

قالوا لكونه اعتق فيه، ـ في يوم الإثنين ـ جاريته (ثويبة) لمّا بشّرته بمولد النبيّ الكريم....

وهل هذا التبشير يستحقّ من ربّ العالمين تلك المكافأة؟!، علماً أنّ أبا لهب لم يكن في مخيّلته أنّ هذا الوليد سيكون فيما بعد نبيّاً مرسلاً، وإلّا إن كان قد علم ذلك لقتله في اللحظة الأولىٰ من بشارته.

ثمّ ألا يقرأ هذا المصنّف المبجّل أنّ القرآن الكريم نزل في ذمّ أبي لهب قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ، ما أَغْنىٰ عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ، سَيَصْلىٰ ناراً ذاتَ لَهَبٍ...**﴾.

والعجيب من أمر هؤلاء المعاندين حيث قرّروا نجاة بعض من كان يعيش في الجاهلية:

كأميّة بن أبي الصلت

وزيد بن عمرو بن نفيل

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

وحاتم الطائي

وقس بن ساعدة

وزهير بن أبي سلمى

وأرباب بن رئاب الشني

وسويد بن عامر المصطلقي

وأسعد أبو كرب الحميري

ووكيع بن سلمة بن زهير الأيادي

وعمير بن جندب الجهني

وعدي بن زيد العبادي

وسيف بن ذي يزن

وورقة بن نوفل

وعامر بن الظرب العدواني

وعبد الطابخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاعة

وعلاف بن شهاب التميمي

والمتلمس بن أميّة الكناني

وخالد بن سنان بن غيث العبسي

وعبد الله القضاعي

وعبيد بن الأبرص الأسدي[١]

فهل أصبحت محامد أبي طالب ونصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله اسوأ حالاً من مخازي كفرة قريش كأبي سفيان وأبي جهل وعتبة وربيعة وأبي لهب و...؟!

هل تصفّح القوم سيرة أبي سفيان وولده معاوية وما صدر منهم من جرائم ومخازي؟! فواحدة منها تكفيك دليلاً على عدم إيمان صخر بن حرب؛ أنّه أبو سفيان رأس الكفر والنفاق....

إليك واحدة من جرائمه: لما مرّ أبو سفيان على قبر حمزة بن عبد المطلب فلم يمتلك أعصابه دون أن ركل القبر برجله وهو يقول: إيه أبا عمارة ـ أو أجلس أبا عمارة ـ وأنظر إلى الملك الذي كنّا نقتتل

---

(١) ينظر: بلوغ الأدب، الآلوسي.

عليه بالأمس، لقد أصبح اليوم وهو كالكرة تتلاعب به أيدي صبياننا، ثمّ قال: فو الذي يحلف به أبو سفيان لا من جنّة ولا نار، ولا حساب ولا عقاب، وإنّما هو الملك.[١]

العناد يقود إلى الخَرَس وغمط الحقوق

لقد تعارف من سيرة الشعراء أن يرتادوا مجالس الوزراء والولاة، وكان منها مجلس الوزير يحيى بن هبيرة[٢] وقد حضره أحد الأيّام أبو الفوارس الشاعر المعروف بـ(حيص بيص).[٣]

يقول أبو الفوارس حضرت مجلس الوزير ومعي يومئذ جماعة من الأماثل وأهل العلم، منهم الشيخ أبو الفرج إبن الجوزي وأبو محمّد الخشاب اللغوي، وغيرهما فجرى حديث شعر أبي طالب فقال

---

(١) أبو طالب وبنوه للسيد محمّد علي آل علي خان: ص ١١٢، نقلاً عن شرح النهج للمعتزلي، ط النجف، مطبعة الآداب، ١٩٦٩م.

(٢) هو الوزير يحيى بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، من أكابر الوزراء في الدولة العباسية، حنفي المذهب. ولد عام ٤٩٧هـ في قرية من اعمال الدجيل بالعراق، تولّى الوزارة عام ٥٤٤ هـ في عهد المقتفي، ثمّ المستنجد حتّىٰ وفاته ببغداد وكانت سنة ٥٦٠هـ ترجم له إبن خلكان في الوفيات: ٢/ ٢٤٦، وشذرات الذهب: ٤/ ١٩١، ومرآة الجنان: ٣/ ٣٤٤.

(٣) هو سعد بن محمّد بن سعد بن الصيفي التميمي، الأمير، من ولد أكثم بن الصيفي، حكيم العرب في الجاهلية، شاعر مشهور من أهل بغداد، كان عالماً وأديباً إلّا أنّ أدبه غلب على فقهه، كانت ولادته حدود ٤٩٢هـ، توفي ببغداد سنة ٥٧٤هـ.

الوزير: ما أحسن شعره لو كان صدر عن إيمان.

فقلت في نفسي، والله لأجيبنّه بالجواب قربة إلى الله تعالىٰ، فقلت له: يا مولاي ومن أين لك أنّه لم يصدر عن إيمان؟

فقال: لو صدر عن إيمان لكان أظهره، ولم يخفه.

فقلت: لو أظهره لم يكن للنبيّ صلى الله عليه وآله ناصر. فسكت ولم يحرِ جواباً. وكان لي عليه رسوم فقطعها من ذلك اليوم.[1]

---

(١) شيخ الأبطح: ٩٥.

الخاتمة

كلمات مضيئة لأبي طالب عليه السلام
تنبؤك عن إيمانه

قال مخاطباً ولده الإمام علي عليه السلام: «يا بني الزم إبن عمّك، فإنّك تسلم به من كلّ بأس آجل وعاجل». ثمّ قال له:

إنّ الوثيقةَ في لزوم محمّد فاشدد بصحبته يديكا[1]

وقال: يحضّ ولده جعفراً على الأئتمام بصلاة النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: «صل جناح إبن عمّك، فصلٍّ عن يساره».[2]

وقوله في وصيّته لقريش: «إنّي أوصيكم بمحمّد خيراً فإنّه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع ما أوصاكم به، وقد جاء

---

(١) هاشم وأميّة في الجاهلية لصدر الدين شرف الدين: ص ١٣٥، طبعة دار القلم، ط ١، بيروت ١٩٨١م.

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة: ٤ / ١١٦، السيرة النبوية: ١ / ١٧٧، السيرة الحلبية: ١ / ٣٠٤، تفسير علي بن إبراهيم: ٣٥٣، هاشم وأميّة: ١٥٣، أسد الغابة: ١ / ٢٨٧، أسنى المطالب: ٦، رسائل الجاحظ: ٤٩ و٥١، وذكرها الاسكافي في نقض العثمانية.

بأمر قبله الجنان...».[١]

وقوله لمّا ردّ على قريش:

ألم تـعلموا أنـا وجـدنا محـمّداً
نبيّاً كموسى خطّ في أوّل الكـتب[٢]

وقوله:

وذكرت ديـناً لا محـالة أنّـه من خير أديان البرية ديناً[٣]

كلمات صريحة أطلقها أبو طالب عليه السلام

ـ قوله للنبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أراد أن ينذر عشيرته، وفي الجمع شيوخ قريش وزعمائها: «قم يا سيدي فتكلّم بما تحبّ وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدق».[٤]

ـ شعره بكلّ أقسامه وقوافيه... وقد تقدّم جملة منه.

ـ قوله لمّا جاء العباس بمعيّة النبيّ صلى الله عليه وآله يستشيرا أبا طالب عليه السلام في أمر إظهار الدعوة: «أخرج يا إبن أخي فإنّك المنيع كعباً والمنيع حزباً

---

(١) طراز المجالس للخفاجي: ٢١٧، تاريخ الخميس: ١/ ٣٣٩، ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي بهامش المستطرف: ٢/ ١٠، بلوغ الأدب: ١/ ٣٢٧، أسنى المطالب لزيني دحلان: ص ٥.

(٢) خزانة الأدب للبغدادي: ١/ ٢٦١.

(٣) ينظر: الديوان، وهامش الأبيات في كتاب الحجة على الذاهب.

(٤) شيخ الأبطح: ص ٢٢، الغدير: ٧/ ٣٥٥.

والأعلى أبا، والله لا يسلقك لسان إلّا سلقته ألسن حداد واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلّلن لك العرب ذلّ البهم لحاضنها ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إنّ من صلبي لنبيّاً لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به».(١)

ـ قوله لعلي عليه السلام لما استأذنه أن يصلي مع النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنّه لا يدعو إلّا إلى خير فألزمه» ثمّ أمره بملازمته.(٢)

ـ خطبته في تزويج النبيّ صلى الله عليه وآله بخديجة عليها السلام.(٣)

ـ قوله للنبيّ صلى الله عليه وآله وعلى مسمع من زعماء قريش الذين دُعوا لسماع كلمات الرسول صلى الله عليه وآله ودعوتهم إلى الإسلام: «ما أحبّ إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشدّ تصديقنا لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنّما أنا أحدهم، غير أنّي أسرعهم إلى ما تحبّ، فامضِ لما أُمِرت به، فوالله لا أزال، أحوطك وأمنعك....(٤)

---

(١) أخرج هذا الخطاب فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي الدينوري في كتابه: نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله نقل عنه العلامة الأميني في كتابه الغدير: ٧/ ٣٤٨، الطرائف لإبن طاووس: ص ٨، شيخ الأبطح: ٢٢.

(٢) الإصابة: ٤/ ٢١٦، تاريخ الطبري: ٢/ ٥٨، وفي طبعة أخرى: ٢/ ٢١٤، سيرة إبن هشام: ١/ ٢٦٤، السيرة الحلبية: ١/ ٣٠٦، ينابيع المودة: ١٦٨، الرياض النضرة: ١٥٩، غاية المرام: ص ٥٠٠، أسنى المطالب: ١٠، عيون الأثر: ١/ ٩٤.

(٣) السيرة النبوية: ١/ ١٠٦، السيرة الحلبية: ١/ ١٦٥، تذكرة الخواص: ص ٣١٢، إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٣٤، الكامل للمبرد: ٣/ ١١٧، الحجة على الذاهب: ٣٦.

(٤) الكامل لإبن الأثير: ٢/ ٤١.

وأخيراً...

استطيع أن أوجز مواقف النبيّ صلى الله عليه وآله من عمّه في النقاط الآتية:

١ ـ عندما وقف النبيّ صلى الله عليه وآله على جنازة عمّه أبي طالب وهو مسجّى قال: «يا عمّ كفلت يتيماً، وربّيت صغيراً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّي خيراً يا عمّ».(١)

٢ ـ عندما رفع نعشه بعدما غسّله علي عليه السلام وحنطه وكفّنه بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله حيث خرج صلى الله عليه وآله ليشيّعه فاعترض النعش وقال برقّة وحزن وكآبة: «وصلت رحماً، وجزيت خيراً يا عمّ، فلقد ربيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً».(٢)

٣ ـ وحين وضع النبيّ صلى الله عليه وآله عمّه في لحده فإنّه بكى وقال: «وا أبتاه واأبا طالباه واحزناه عليك يا عمّ كيف أسلو عنك يا من ربّيتني صغيراً واجبتني كبيراً وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد».(٣)

قال الغفاري: لقد أوجز النبيّ صلى الله عليه وآله علو مقام عمّه أبي طالب بكلمات أربع: «كفلت، ربّيت، أجبت، نصرت».

---

(١) رواه إبن بابويه في الأمالي.

(٢) أخرجه زيني دحلان في أسنى المطالب: ص ٢٤، وإبن سعد: وإبن عساكر والسيرة الحلبية وأبو داود والنسائي وإبن الجارود وإبن خزيمة وفي الاصابة: ١١٣/٧، ط ١٣٢٥هـ.

(٣) يرويه أبو الحسن البكري في كتاب مولد أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّا في تفانيه فيكفيك قول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه: «وكنتُ عندك بمنزلة العين من الحدقة والروح من الجسد».

مقتطفات من الشرح لإبن أبي الحديد

تؤكّد إيمان أبي طالب عليه السلام

جاء في الجزء: ١٤ / ٦٧: قال النبيّ صلى الله عليه وآله يشير إلى طهارة مولده ومولد علي عليه السلام: نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية.

ـ ١٤ / ٦٨: قال الصادق عليه السلام: يبعث عبد المطلب... عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك.

ـ ١٤ / ٦٨: قال العباس للرسول صلى الله عليه وآله: ما ترجو لأبي طالب عليه السلام...؟ قال صلى الله عليه وآله: كلّ الخير.

ـ ١٤ / ٦٨: كتب أبان بن محمود إلى الرضا عليه السلام في شأن أبي طالب عليه السلام، فأجابه إن لم تقرّ بإيمانه كان مصيرك إلى النار.

ـ ١٤ / ٦٨: عن الباقر عليه السلام قال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان... لرجح إيمانه على إيمان جميع الخلائق وأنّ علياً عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله وأبي طالب عليهما السلام في حياته ثمّ أوصى بذلك بعد مماته.

ـ ١٤ / ٦٨: قال أبو بكر للرسول صلى الله عليه وآله، لأنا أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب عليه السلام من أبي قحافة.

ـ ١٤ / ٦٩: عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: نهى رسول

الله صلى الله عليه وآله أن يقر مسلمة على نكاح كافر... وفاطمة بنت أسد لم تزل تحت أبي طالب عليه السلام وهذا يعني أنّ أبا طالب عليه السلام كان مسلماً ومؤمناً.

ـ ١٤ / ٦٩: عن الزيدية أسند حديث إلى أبي رافع مولى رسول... قال: سمعت أبا طالب أنّه حدّثه الرسول بصلة الرحم وأن يعبده وحده، وهو الصادق الأمين صلى الله عليه وآله.

ـ ١٤ / ٦٩: قال صلى الله عليه وآله: أنا وكافل اليتيم كهاتين... إنّما عنى أبا طالب عليه السلام.

ـ ١٤ / ٦٩: قال المعتزلة: علي وجعفر عليهما السلام لم يرثا من أبي طالب عليه السلام... والإمامية بخلاف ذلك، فإنّ المسلم عندهم يرث الكافر، وإنّما لم يأخذا من تركته لكون أنّه كان فقيراً معدماً أو تركوه لعقيل و....

ـ ١٤ / ٦٩ ـ ٧٠: حبّ الرسول صلى الله عليه وآله لعمّه عليه السلام مشهور معلوم ولو كان كافراً ما جاز له حبّه لقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً...﴾.(١)

ـ ١٤ / ٧٠: اشتهر واستفاض حديثه صلى الله عليه وآله لعقيل: «أنا أحبّك حبّين...».

ـ ١٤ / ٧٠: خطبة النكاح مشهورة خطبها أبو طالب عليه السلام في زواج خديجة عليها السلام، بدأها بحمد الله والثناء عليه.

ـ ١٤ / ٧٠: قال الصادق عليه السلام: إنّ أصحاب الكهف أسروا الإيمان... وأنّ أبا طالب أسرّ الإيمان.

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

ـ ١٤ / ٧٠: ليلة مات أبو طالب عليه السلام جاء جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقال له: أخرج منها فقد مات ناصرك.

ـ ١٤ / ٧٠: حديث الضحضاح يرويه رجل واحد هو المغيرة بن شعبة وهذا بغضه لبني هاشم معروف....

ـ ١٤ / ٧١: رووا أحاديث كثيرة عن أبي بكر والعباس أنّ أبا طالب عليه السلام ما مات حتى قال: لا إله إلّا الله.

ـ ١٤ / ٧١: عن العباس أنّه سمع أبا طالب عليه السلام عند الإحتضار وقد قال كلاماً خفيّاً....

ـ ١٤ / ٧١: عن علي ما مات أبو طالب عليه السلام حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا.

ـ ١٤ / ٧١: أشعاره تدلّ على أنّه كان مسلماً.

ـ ١٤ / ٧٦: وصلت يا عمّ رحماً، جزيت خيراً، ربيت، كفلت، نصرت.

ـ ١٤ / ٧٦: المسلم لا يجوز أن يتولى غسل الكافر، ولا يجوز للنبيّ أن يرقّ للكافر.

ـ ١٤ / ٧٦: الإمام عليه السلام تولى غسله، لإنّ طالباً وعقيلاً لم يكونا أسلما بعدُ، وجعفر في الحبشة.

ـ ١٤ / ٧٦: لم تكن صلاة الجنائز شرعت بعد، ولم يصلّ النبيّ صلى الله عليه وآله على خديجة عليها السلام.

ـ ١٤ / ٧٨: أشعاره قد فاقت حدّ التواتر، كلّها شهود صدق على إيمانه.

ـ ١٤ / ٨٠: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استغفر لعبيدة بن الحارث لمّا قطعت قدمه في الحرب كما استغفر لأبي طالب عليه السلام.

ـ ١٤ / ٨١: النبيّ صلى الله عليه وآله يستنشد قول أبي طالب عليه السلام: «وأبيض يستسق الغمام... ثمّ قال: لله درّ أبي طالب عليه السلام.

ـ ١٤ / ٨١ـ٨٢: لم يجاهر أبو طالب عليه السلام بإسلامه حتى يتسنّىٰ له الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وآله، فقد تمكّن من المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش حيث استعمل أبو طالب عليه السلام الكناية فقال: أنّه على دين عبد المطلب.

فما هو دين عبد المطلب؟

أقول: لو تصفحت عزيزي القاريء الكتب التاريخية كي تقف على سيرة عبد المطلب ستجد عدة حقائق منها:

أوّلاً: تخبرنا الروايات الكثيرة والصحيحة المتواترة والمتظافرة من كتب القوم أنّ عبد المطلب كان على ملّة إبراهيم؛ أي أنّه كان موحّداً لله.(١)

ثانياً: وقد أطبقت المصادر علىٰ أنّه لم يسجد لصنم...

ثالثاً: ولقد سنّ عبد المطلب سنناً منها:

حرّم الخمر والزنا والظلم والبغي، وسنّ قطع يد السارق، وإلى غير

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٠، ط دار صادر.

ذلك من السنن التي جاء بها القرآن الكريم.

وهكذا حرّم نكاح المحارم...

وحظر طواف العراة بالبيت الحرام...

وأنّه حرم قتل المؤودة...

رابعاً: وأمّا قصّته في هجوم أبرهة الحبشي تنبؤك على صلابة إيمانه بالله، وهذه القصّة مرقومة في كتب الأوائل بما لا محيص عنه، قال لأبرهة: إنّ لهذا البيت رباً يذبّ عنه ويحفظه، ثمّ صعد على جبل أبا قبيس وقال:

لا هُـمَّ أنّ المـرءَ يمـنع حـلّه فـامنع حـلالك
لا يـغلبنّ صـليبهم ومحـالهم عـدواً محـالك
فـانصر عـلى آل الصـليب وعـابديه اليـوم آلك
إن كـنت تـاركهم وكـعبتنا فَأمْـرٌ مـا بـدا لك

خامساً: قول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه: إنّ الله يبعث جدّي عبد المطلب أمّة واحدة في هيئة الأنبياء وزي الملوك[1]، أنّه من أجلى الأدلة على إيمان عبد المطلب وأنّه على ملّة إبراهيم عليه السلام.

فإذا عرفت كلّ هذا وتبيّن لك أنّ عبد المطلب موحّداً، فقد صدق إيمان أبي طالب عليه السلام بالله وبرسوله وبدعوته إلى الإسلام، حيث أكّد مراراً أنّه على دين عبد المطلب، وفي بعض أقواله أنّ نفسه لا تطاوعه فراق دين عبد المطلب.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٤، ط دار صادر، بيروت.

فهو حقّاً أنّ نفسه لا تطاوعه على فراق ذلك الدين وهو التوحيد، وقد عرفته العرب بكلّ فصائلها وقبائلها وزعمائها حتى كانت تطلق على عبد المطلب إبراهيم الثاني.

وأنّ قول أبي طالب عليه السلام المتقدّم إنّما هو تعمية على الحاضرين من زعماء قريش وأبناء عبد المطلب لئلّا يناصبوه العداء بمفارقتهم وهذا الأسلوب شائع في كلام العرب ومن له أدنى خبرة بمخاطباتهم وبلاغتهم وهو على نسق قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب

سادساً: روى القوم عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو يقول لعلي بن أبي طالب عليهما السلام: أنّ عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول أنا على دين إبراهيم عليه السلام.

كما رووا أنّ أبا طالب عليه السلام قال عند الوفاة أنا على ملّة عبد المطلب وأنّه كان وصي من أوصياء إبراهيم عليه السلام.

وممّا يعزز إيمان أبي طالب عليه السلام بعد كلّ ما تقدّم:

أوّلاً: لم يسجد لصنم، ولم يعرف عنه طيلة حياته المباركة أن ظهرت له ممارسات تخالف فكرة التوحيد.

ثانياً: لم يقسم إلّا بوحدانية الله سبحانه.

ثالثاً: خطبه المتعددة في الملأ من قريش والحمد لله والثناء عليه، تؤكّد إيمانه بالله منها: خطبته في زواج خديجة عليها السلام، وهذا كان قبل البعثة، أي بما ينوف على خمسة عشرة سنة، وخطبه بعد بعثة

النبيّ صلى الله عليه وآله وهي عديدة قد ذكرتها كتب التاريخ والسيرة.

رابعاً: كلماته المضيئة في شأن محمّد وما صدر منه في حواراته العديدة: كحواره مع فاطمة بنت أسد، وحواره مع بحيرا، ومع قريش، ومع العباس، ومع حمزة، ومع أبي لهب، وهذه الحوارات منها صدرت قبل البعثة، ومنها صدرت بعد البعثة، كلّها ناطقه بحمد الله سبحانه والثناء عليه وتعظيمه، فهي صور من الإيمان الذي تمسك به أبو طالب عليه السلام كأبيه عبد المطلب.

خامساً: ما سنّه لقريش في الجاهلية ما يوافق منطق الإيمان والتوحيد وقد امضاها القرآن الكريم.

سادساً: نزاهته من كلّ قبيح نهى عنه الشارع المقدس، وهذا يدلّ على أنّه من اتباع (الفترة) وعلى دين آبائه وأجداده فهو علىٰ ملة إبراهيم، وهي الحنيفية.

إذا عرفت كلّ ما تقدّم، نقول:

إذاً من الخطأ فيما ذهب إليه الخصوم إعتبار القرابة سر انعطاف أبي طالب إلى محمّد صلى الله عليه وآله وحمايته من أعدائه.

ولو كانت القرابة كذلك لتبعه أبو لهب وغيره من الأقرباء فقد كانوا حقيقين بالإنعطاف.

ثمّ الباحث منهم لماذا لم يفتش في أدلّة خصومه ويعرضها على عقله ومنطقه علّه ينجو من مغبة ذلك التلقين الذي تزرقه الأفكار المسمومة في كتابات أجيرة يدرّ نفعها لليهود والصهانية...!

فحري بكلّ كاتب وشاعر وناثر ومسلم وغيور أنّ يمجّد أفعال

أبي طالب عليه السلام وأن يعترف له بالفضل ويكنّ له الإحترام والتقدير، وأن يجعله في مصاف الأبطال المجاهدين، والزعماء والسياسين ... وهو الأنموذج الامثل للأبرار الذين وصفهم الله بكتابه.

إذاً لا بدّ من تصحيح المسار لبعض الكتاب والمؤلّفين الذين حملوا قلم السبّ والشتم ليسوّدوا فيه صفحاتهم ومقالاتهم، لا لشيء إلّا لكون هذا البعض جرىٰ وراء عرض هذه الدنيا ونعيمها الزائل، بينما تجد الآخرين لم يصب من هذه الدنيا حتى هذا النزر القليل وإنّما هم ينعقون وراء كلّ ناعق، ويقتفون أثر كلّ عنيد وناصب. فهم بذلك قد اشتروا رضا المخلوق بسخط الخالق.

فليهنأك يا أبا طالب عليه السلام شفاعة إبن أخيك نبيّ العالم ومفخرة آدم وحوّاء، النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله الذي كنت له درعاً واقياً وحامياً وناصراً، ومدافعاً حتى ارتحلت وعينك تشبح لإبن أخيك مودّعاً له، ومذعناً بكلّ ما جاء به، ومؤمناً برسالته، فقبضك ربّك وهو عنك راض والله لا يضيع عمل عامل من ذكر وأنثىٰ، والله لا يضيّع أجر المحسنين.

والحمد لله أوّلاً وآخراً.

فهرس المندرجات

- **المقدمة** ٧
- **الفصل الأول** ٩

ما قيل في إيمان ابي طالب عليه السلام ٩

نسب ابي طالب عليه السلام ١١

لماذا اخفى ابو طالب عليه السلام إيمانه؟ ١٣

مَنْ الذي كتم إيمانه؟ ١٦

إبراهيم الخليل عليه السلام ١٧

مَنْ كتم إيمانه لإقتضاء المصلحة: مؤمن آل فرعون ١٩

ممّن كتم إيمانه: أصحاب الكهف ٢١

نصرة ابي طالب عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله منذ بدء إعلان الدعوة ٢٢

- **الفصل الثاني** ٢٥

نبوءات ابي طالب عليه السلام ٢٥

من كلام أبي طالب عليه السلام في حقّ إبن أخيه صلى الله عليه وآله ٢٥

أبو طالب عليه السلام ومحبّته للنبيّ صلى الله عليه وآله ٢٨

محبّة ابي طالب عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله ٢٩

رحلة ابي طالب عليه السلام إلى الشام ولقاء بَحِيرا الراهب ٢٩

نصرة ابي طالب عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله ٣٥

الحفاظ على النبيّ صلى الله عليه وآله ٣٦
ما نطق به أبو طالب عليه السلام في نصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله ٣٧
وقفة لا بدّ منها ٣٨
روايات وتعقيب ٤١
دليل إيمانه من خلال مواقفه ٤٥
أوّلاً: موقفه من قريش وثأره لعثمان بن مظعون ٤٥
ثانياً: موقفه من وفود قريش ٤٧
ثالثاً: ومن مواقف أبي طالب عليه السلام مشورة الرسول صلى الله عليه وآله للعباس في إعلان هذا الدين ٥٠
خطاب وتوجيه ونصرة ٥٢
رابعاً: أبو طالب عليه السلام وخطابه للنجاشي ٥٥
خامساً: من مواقف أبي طالب عليه السلام الإيمانية لمّا غاب النبيّ صلى الله عليه وآله ليوم وليلتها (قصّة الأسراء) ٥٩
سادساً: من مواقف أبي طالب عليه السلام الإيمانية (حديث السِلا) ٦١
سابعاً: من مواقف أبي طالب عليه السلام الإيمانية (حديث الصحيفة) ٦٥
ثامناً: وصيّة أبي طالب عليه السلام لوجوه قريش لمّا حضرته الوفاة ٧٦
ابو طالب عليه السلام راوية النبيّ صلى الله عليه وآله ٧٨
أبو طالب عليه السلام يصدّق دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله ٧٨
أبو طالب عليه السلام يؤكّد صدق النبيّ صلى الله عليه وآله في نبوّته أمام قريش ٧٩
أمّا مرويات أبي طالب عليه السلام ٨٠
● **الفصل الثالث** ٨٣
آيات يستدلّ بها على إيمان ابي طالب عليه السلام ٨٣

● **الفصل الرابع** ١٠٥
النبيّ ﷺ يشفع لعمّه ١٠٥
السيرة الشرعية حاكمة على إيمان ابي طالب عليه السلام ١١٥
أوّلاً: بقاء فاطمة بنت أسد عليها السلام على عصمة زوجها ١١٥
من سيرة فاطمة بنت أسد عليها السلام: ١١٩
ثانياً: النبيّ ﷺ يتغذّى من لبن عمّه ١٢٢
ثالثاً: الحجّ والطواف عن أبي طالب عليه السلام ١٢٣
رابعاً: هدية المشرك ١٢٤
خامساً: عدم أكل طعام المشرك ١٢٦
سادساً: مال المسلم حرام على الكافر ١٢٦
سابعاً: الحنين إلى أبي طالب عليه السلام واستصراخ النبيّ ﷺ لعمّه .. ١٢٧
ثامناً: موقف النبيّ ﷺ واستغفاره لعمّه ١٢٨
تاسعاً: بكاء النبيّ ﷺ على عمّه أبي طالب عليه السلام لمّا سمع نبأ وفاته ١٢٩
عاشراً: شفاعة النبيّ ﷺ ١٣٠
الحادي عشر: عليّ عليه السلام يرثي أباه ١٣١
● **الفصل الخامس** ١٣٣
الدليل العقلي على إيمان ابي طالب عليه السلام ١٣٣
خاتَم أبي طالب عليه السلام ١٣٣
دعاء أبي طالب عليه السلام ١٣٤
وفيما يخصّ دعاء أبي طالب عليه السلام: ١٣٥
فيما صنعه النبيّ ﷺ في أبي طالب عليه السلام بعد وفاته ١٣٦
النبيّ ﷺ يكره الإقامة عند مشرك ١٣٧

النار محرّمة على أبي طالب عليه السلام ١٣٨
حديث الشفاعة ١٣٩
نتابع حديث الشفاعة ١٤٢
ومن أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ عمّه ١٤٦
سخرية القوم من رسول الله صلى الله عليه وآله ١٤٧
من الأدلّة الأخرى: حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه أبي طالب عليه السلام ١٥٢
حبّ الرسول صلى الله عليه وآله للرجل دليل على صلاحه وإيمانه ١٥٤
قصّة تخفيف العذاب عن أبي لهب الكافر لأنّه أعتق ثويبة مولاته لمّا بشّرته بمولد النبيّ صلى الله عليه وآله ١٥٤
● **الفصل السادس** ١٥٧
شهادة كبار الصحابة ١٥٧
العباس بن عبد المطلب ١٥٧
أبو بكر بن أبي قحافة ١٥٨
أبو الجهم بن حذيفة ١٥٩
أبوذر الغفاري ١٥٩
عبد الله بن عباس ١٦٠
حسان بن ثابت ١٦٠
شهادة علماء المذاهب ١٦١
الشعبي ١٦٢
الزبير بن بكار ١٦٤
المأمون العبّاسي ١٦٤
المبرّد ١٦٥
الثعلبي ١٦٥

أبو عمرو الزاهد؛ محمّد بن عبد الواحد الطبري..... ١٦٦
علي بن حمزة البصري ١٦٧
إبن أبي الحديد المعتزلي..... ١٦٧
البلخي والإسكافي وإبن الفضل والواسطي والآمدي ١٦٨
اقوال علماء المذاهب..... ١٦٨
تناقض في كلام إبن أبي الحديد ١٦٩
تنبيه وبيان ١٧٢
إبن الأثير..... ١٧٦
علماء المذاهب..... ١٧٦
العلامة القرافي..... ١٧٧
المحقق السحيمي وأبو طاهر..... ١٧٧
المالكي والتلمساني وإبن وحشي الحنفي والاجهوري ١٧٨
الفخر الرازي ١٧٩
سبط إبن الجوزي ١٧٩
عبد الواحد السفاقسي..... ١٨٠
أبو الفداء إسماعيل بن علي الشافعي..... ١٨١
القسطلاني، إبن التين، إبن إسحاق وعلي بن حمزة ١٨١
جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ١٨٢
عبد الرحمن الإدريسي المغربي ١٨٣
رأي البرزنجي الشافعي (١١٠٣ هـ) وأئمة الأشاعرة ١٨٤
أحمد الهبراوي الحلبي (١٢٢٤ هـ) ١٨٥
الآلوسي..... ١٨٦
العلامة أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية..... ١٨٧

عبد العزيز سيد الأهل ١٩٠
نهاية المطاف ١٩٤
محاججة في قياس ١٩٤
العناد يقود إلى الخرس وغمط الحقوق ١٩٧
● **الخاتمة** ١٩٩
كلمات مضيئة لأبي طالب عليه السلام تنبؤك عن إيمانه ١٩٩
كلمات صريحة اطلقها ابو طالب عليه السلام ٢٠٠
واخيراً.... . . . . . ٢٠٢
مقتطفات من الشرح لإبن ابي الحديد تؤكّد إيمان ابي طالب عليه السلام . ٢٠٣
فما هو دين عبد المطلب عليه السلام؟ ٢٠٦

البحوث والمقالات والكتب التي صدرت للمؤلّف

١ـ المشكلة الكردية حتى عام ١٩٣٢م

AL - MASSAR - NO.2 - 1989 INDIA.

٢ـ البنت والزوجة في القرآن الكريم

AL - BILAD, NO.55, 1411, Beirut, Lebanan.

٣ـ الأولاد زينة للحياة... وفتنة

AL - BILAD, NO.58, 1411, Beirut, Lebanan.

٤ـ بين المعجزة والكرامة، مجلة التوحيد، طهران، العدد ٥٥، سنة ١٤١٢هـ.

٥ـ رأي الشيخ المفيد في الغلو، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ج ٢٥، ١٤١٣هـ.

٦ـ البرهان السديد في (الردّ علىٰ من قال بسهو النبيّ ﷺ)، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ج ٢٥، سنة ١٤١٣هـ.

٧ـ معايير الجرح والتعديل، مجلة الفكر الإسلامي، قم، العدد ٦، سنة ١٤١٥هـ.

٨ـ الثورة الإسلامية وأثرها في العالم، مجلة الذكر، قم، العدد ١٩، سنة ١٤١٥هـ.

٩ـ فضيلة الحديث وروايته، مجلة الكوثر، قم، العدد ١، سنة ١٤١٥هـ.

١٠ـ السيد سبط الحسن (الفاضل الهندي)، مجلة الذكر، قم،

العدد ١٩، سنة ١٤١٥هـ.
١١ ـ المستشرقون والسيرة، مؤتمر السيرة النبوية العالمي، السنة الثانية، دمشق، سوريا ١٩٩٥م، ومجلة الثقافة الإسلامية، العدد ٦٦، سنة ١٤١٦هـ.
١٢ ـ مصادر السيرة النبوية، المؤتمر العالمي للسيرة، دمشق ومجلة الفكر الإسلامي، قم، العدد ١٧، سنة ١٤١٨هـ.
١٣ ـ فضائل فاطمة عليها السلام، مقدمة كتاب (مولد فاطمة عليها السلام)، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٤ ـ نبوغ الإيرانيين في الشعر العربي خلال القرنين الأخيرين، مجلة اللغة العربية، دمشق.
١٥ ـ فن الرثاء عند ديك الجن، مجلة تراثنا، العدد ٨٥، قم.
١٦ ـ شبهات حول نهج البلاغة، مجلة تراثنا، العدد ٩٢.
١٧ ـ شعر المنصور النمري، يقظة بعد غفلة، مجلة تراثنا، العدد ٨٧.
١٨ ـ البعد الجغرافي في شعر دعبل الخزاعي، جامعة إصفهان، مجلة اللغات الأجنبية، العدد ١، سنة ٢٠١٠م.
١٩ ـ المرأة المعاصرة، ط بيروت، دار الزهراء عليها السلام، ١٩٧٧ و١٩٨٢ و١٩٨٣ و١٩٨٤م.
٢٠ ـ شاعر العقيدة المفجّع البصري، ط بيروت، دار الزهراء عليها السلام، ١٩٨٥م.
٢١ ـ ملامح من شخصية الإمام عليّ عليه السلام، ط بيروت، مؤسسة النعمان، ١٩٨٨م.
٢٢ ـ شرح الاشباه، ط الأولى بيروت، ١٩٨٨م، وط الرابعة قم، نشر جمال، ٢٠٠٢م.

٢٣ـ فصول من العقيدة، ط بيروت، دار الرسول الأكرم ﷺ، ١٩٩٢م.

٢٤ـ الكليني والكافي (رسالة الدكتوراه)، ط قم، جامعة مدرسين، ١٩٩٥م.

٢٥ـ الميسّر في علوم القرآن، ط بيروت، دار الرسول الأكرم ﷺ، ١٩٩٥م.

٢٦ـ شبهة الغلو عند الشيعة، ط بيروت، دار المحجّة البيضاء، ١٩٩٥م.

٢٧ـ الكليني وخصومه، ط بيروت، دار المحجّة البيضاء، ١٩٩٥م.

٢٨ـ الحسين عليه السلام من خلال القرآن الكريم، ط بيروت، دار الرسول الاكرم ﷺ، ١٩٩٦م.

٢٩ـ الخبر اليقين في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، ط قم، أنصاريان، ١٩٩٦م.

٣٠ـ قبس من كرامات الإمام الحسين عليه السلام، ط بيروت، دار المعارف، ٢٠٠٢م.

٣١ـ الأدب السياسي في صدر الإسلام، ط بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٣م.

٣٢ـ النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ط بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٣م.

٣٣ـ كرامات الإمام الحسين عليه السلام، الطبعة الثانية في (٣ أجزاء) ط بيروت، الدار الإسلامية.

٣٤ـ المنتخب من الكنوز والأوراد، ط بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م.

٣٥ـ صيانة العلوم الإسلامية ودور علم الرجال فيها رسالة الماجستير و[M.phil]، ط بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٤م.
٣٦ـ أمير المؤمنين عليه السلام في شعر السيد الحميري، ط بيروت، دار القاري، ٢٠٠٥م.
٣٧ـ الإمام علي عليه السلام، رحمة وذكرى، ط بيروت، دار القاري، ٢٠٠٥م.
٣٨ـ حقيقة الزهد عند أبي العتاهيّة، دار الولاء، بيروت، ٢٠٠٨م.
٣٩ـ نشوء القراءات، طبعة دليل ما، قم، ١٤٣١هـ.
٤٠ـ القنوت من وجهة نظر الصحابة وأهل البيت عليهم السلام، طبعة دليل ما، قم، ١٤٣١هـ.
٤١ـ المرأة في الإسلام، انتشارات جامعة المصطفى، قم، ١٤٣١هـ.
٤٢ـ شرح الاشباه، الطبعة الثامنة، دليل ما، قم، ١٤٣١هـ.
٤٣ـ أصول القراءة والتجويد، طبعة أنصاريان، قم، ١٤٣١هـ.
٤٤ـ جمع القرآن، طبعة أنصاريان، قم، ١٤٣١هـ.
٤٥ـ البعد الفكري والتربوي في نهج البلاغة، طبعة أنصاريان، قم، ١٤٣١هـ.
٤٦ـ الشقشقية، طبعة مركز بحوث الإسلامية، قم، ١٤٣١هـ.
٤٧ـ النسخ بين المفسّرين والأصولين، قم، مركز المصطفى، ١٤٣١هـ.
٤٨ـ المحكم والمتشابه، قم، مركز المصطفى، ١٤٣١هـ.
٤٩ـ الدليل الثاقب على إيمان أبي طالب عليه السلام، قم، ١٤٣٢هـ.